الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: ط1:
ط2:

# الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني

# "مدينة تلمسان أنموذجا"

**مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:**

**شعبة: التاريخ** **تخصص: تاريخ الجزائر الحديث**

**إعداد الطالبتين:**
شبابحة بشرى
أوذينة سامية

**إشراف الأستاذ الدكتور:**
سيد علي أحمد مسعود

| لجنة المناقشة | | | |
|---|---|---|---|
| اسم ولقب الأستاذ | الرتبة | الجامعة | الصفة |
| | | المسيلة | رئيسا |
| سيد علي أحمد مسعود | أستاذ التعليم العالي | المسيلة | مشرفا ومقررا |
| | | المسيلة | عضوا مناقشا |

**السنة الجامعية: 2020-2021**

# شكر وعرفان

أول مشكور هو الله عز وجل

ويسرنا أن نوجه شكرنا لكل من نصحنا أو أرشدنا أو وجهنا أو ساهم معنا في إعداد هذا العمل البحثي

ونشكر على وجه الخصوص أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور

سيد علي أحمد مسعود

على مساندته لنا وإرشاده بالنصح والتصحيح

وكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل

# إهداء

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

إلهي لا يطيب الله إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك...ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك...ولا تطيب الآخر إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ونصح الأمة....

إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد ﷺ

فهذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهدات إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

إلى التي بدأ حبها يتسلل قلبي منذ عرفت أنها سوف تأتي ابنتي الغالية وزهرة عمري فاطمة الزهراء والى جدة ابنتي رحمها الله واسكنها فسيح جناته والى جدها أدامه الله بكل صحا وعافية

إلى أختاي فايزة ومنال وزوجة أخي حفظها الله

وأخواي فؤاد، ثامر، زكرياء

وإلى كتاكيت العائلة خديجة، سجود، غفران حفظهم الله

وإلى رفيقاتي وكل أساتذتي من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي

وإلى كل قسم التاريخ وجميع دفعة 2021 بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة

بشرى

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي التي أنارت دربي بنصائحها،

وكانت بحرا صافيا يجري يفيض حب

إلى من منحتني قوة وصبر، وكانت سببا في مواصلة دراستي

إلى الغالية على قلبي أمي

إلى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح وكان لي سندا

وفدوة أبي الحبيب أطال الله في عمره

وإلى زوجي الغالي والعزيز على قلبي حمزة

وإلى ابني الكتكوت الصغير العزيز على قلبي محمد حفظه الله لي وهو كل شيء

في حياتي

إلى أخواتي، أخي الغالي الوحيد أيمن وأختي العزيز فاطمة الزهراء، وأختي

الصغيرة ملاك، وإلى أخي الذي لم تلده أمي يوسف حفظهم الله عز وجل

وإلى البراعم آية، يعقوب، رتاج

إلى الكتكوت العيد الذي لم يلد بعد

وإلى عائلة زوجي

وكل صديقاتي إيمان، هدى، أمل، نزيهة، خديجة، هامر

سامية

# قائمة المختصرات

د.ط: دون طبعة

د.م: دون مكان

د.ت: دون تاريخ

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقديم

ط: الطبعة

تص: تصحيح

مج: مجلد

مر: مراجعة

ص: الصفحة

ص ص: تعدد الصفحات

ج: الجزء

تح: تحقيق

# مقـــــــدمة

**مقدمة:**

**1-الإطار العام للدراسة:**

شكلت الفترة العثمانية في الجزائر فترة متميزة، خصوصا في جوانبها السياسية، العسكرية، الثقافية، في الوقت الذي يكثر الحديث عن هذه الفترة في الجانب السياسي والعسكري، باعتبارهما إحدى مقومات هذه الدولة، إلا أننا نجد كثير من المؤرخين يرون أن الجانب الثقافي لم ينل حظه من طرف الحكام العثمانيين، بل ويحملونهم مسؤولية تردي هذه الأوضاع.

وبتمعن في الوضع الثقافي للجزائر في تلك الفترة نجد بعض المجهودات التي قام بها الحكام العثمانيون في هذا المجال، خصوصا في الجانب الديني من مساجد وزوايا وكتاتيب وبيوتات علمية، وتحولت بعض المدن الجزائرية إلى منارات علمية منها العاصمة، قسنطينة وتلمسان، وهذه الأخيرة التي ستكون محور دراستنا الموسومة بـ: "الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني" وأخذنا تلمسان كنموذج.

**2-دوافع اختيار الموضوع:**

اخترنا هذا الموضوع لإعداد مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث لدوافع موضوعية وأخرى ذاتية نذكر منها:

**أ-الدوافع الموضوعية:**

- محاولة إبراز مكانة تلمسان وإقليم الغرب عموما ومدى مساهمته في الحياة الحضارية في الجزائر العثمانية.
- رأينا أن معظم الدراسات ترتكز على الجوانب الأخرى خصوصا السياسية والعسكرية.
- تسليط الضوء على منطقة فقط من الجزائر للتعمق في دراستها دراسة وافية.
- التعريف ببعض أعلام وعلماء تلمسان خلال الفترة المدروسة.
- معرفة أوضاع تلمسان في العهد الزياني والذي يعتبر من أزهى العهود التي مرت بها المدينة.

أما العوامل الذاتية فنجد:

- رغبتنا في دراسة الجانب الحضاري والثقافي لمدينة تلمسان خلال الفترة العثمانية.
- ميولنا لطرق مثل هذه المواضيع المتمثلة في الجوانب الحضارية.
- رغبتنا في معرفة أهم المؤسسات الثقافية التي وجدت بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني ودورها في تطور وبلورة الواقع الثقافي بالمنطقة.
- كذلك كلفنا في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي بإعداد بحث حول مدينة تلمسان، ومن ذلك الوقت فكرنا في التوسع في هذا الموضوع.

**3-إشكالية الموضوع:**

تتمحور إشكالية مذكرتنا حول البحث في الحياة الحضارية لبايلك الغرب وتلمسان تحديد، وذلك بمحاولة إبراز المقومات الحضارية لتلمسان ومؤسساتها الدينية والثقافية، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- كيف كانت الحياة الحضارية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني؟

وتندرج تحت هذا الإشكال المحوري أسئلة فرعية منها:

- ما أهمية الموقع الجغرافي والطبيعي لكل من بايلك الغرب وتلمسان بصفة خاصة؟
- ما هي أوضاع تلمسان خلال الفترة التي سبقت العهد العثماني (العهد الزياني)؟
- ما هي أبرز عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني والعثماني؟
- ما هي أهم المؤسسات الثقافية لمدينة تلمسان باعتبارها رمز لحضارتها خلال الفترة العثمانية؟

**4-المناهج العلمية المتبعة:**

اعتمدنا في مذكرتنا على المنهج التاريخي الوصفي لتتبع أهم هذه الأحداث التي تخدم موضوعنا، إضافة للمنهج التحليلي لإخضاع هذه الأفكار لتحليل والشرح.

**5-خطة البحث المتبعة:**

حاولنا الإجابة على إشكالية موضوعنا، وبتوظيف المادة العلمية التي بحوزتنا، قسمنا موضوع بحثنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع وأسباب اختياره والإشكالية، المناهج المتبعة، الخطة، أهم المصادر والمراجع وصعوبات البحث.

ارتأينا أن نمهد لموضوعنا بفصل تمهيدي جاء بعنوان: لمحة جغرافية وطبيعية وتاريخية لكل من الإقليم الغربي ومدينة تلمسان، ضم ثلاث مباحث، ففي المبحث الأول تناولنا الإطار الجغرافي والطبيعي لإقليم الغرب ومدينة تلمسان، أما المبحث الثاني فأشرنا فيه إلى لمحة تاريخية عن البايلك وتلمسان بصفة خاصة، أما المبحث الثالث ذكرنا فيه أصل التسمية لمدينة تلمسان.

أما الفصل الأول تطرقنا فيه لأوضاع تلمسان خلال العهد الزياني وضم ثلاث مباحث، حيث درسنا في المبحث الأول الأوضاع السياسية، أما المبحث الثاني فتضمن الأوضاع الاجتماعية، في حين المبحث الثالث تطرقنا فيه للأوضاع الثقافية والاقتصادية بمدينة تلمسان خلال العهد الزياني.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان: الواقع الاجتماعي لتلمسان خلال العهد العثماني، واحتوى على ثلاثة مباحث، حيث جاء في المبحث الأول إلحاق تلمسان بالحكم العثماني، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الفئات السكانية المشكلة لمدينة تلمسان خلال الفترة المدروسة، في حين المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى نماذج من عادات وتقاليد المجتمع التلمساني.

الفصل الثالث الذي يحمل عنوان: "الواقع الحضاري الثقافي لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، وتضمن ثلاث مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول المساجد والزوايا، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى المدارس والكتاتيب والبيوتات العلمية بتلمسان خلال العهد العثماني، وتضمن المبحث الثالث العمران بمدينة تلمسان.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة هذا الموضوع، ومن أجل التوضيح أكثر أرفقناها بمجموعة من الملاحق وأنهينا الموضوع بقائمة بيبليوغرافية وفهرس الموضوعات.

**6-المصادر والمراجع المتبعة:**

لكل موضوع مدروس مصادر ومراجع يعتمد عليها الباحثون من أجل الإلمام بموضوع بحثهم، وقد اعتمدنا في موضوعنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- مارمول كربخال، إفريقيا، الجزء الثاني.

أما المراجع فنذكر منها:

- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، وبالنسبة للدراسات السابقة، نذكر تلمسان في العهد الزياني للطالب بسام كامل عبد الرزاق شقدان.

**7-الصعوبات:**

ومن أهم العصوبات التي واجهناها نذكر:

- قصر المدة الزمنية لإعداد هذه المذكرة، وطبيعة موضوعها الذي يتطلب وقتا طويلا من أجل الإلمام والإحاطة به من كل جوانبه.
- كذلك طول فترة الدراسة (العهد العثماني) شكلت لنا صعوبة في تغطية كل التفاصيل المتعلقة بالموضوع بشكل متوازن دون الإخلال به وبعناصره، مما شكل لنا صعوبة في جمع المادة العلمية ومنه اضطررنا إلى ذكر ما كان أهم فقط.
- كذلك واجهنا صعوبة في صياغة المعلومات من مصادرها، إضافة إلى كثرة المعلومات وتعددها مما يصعب من مهمة ترتيبها وتوظيفها وفق ما يخدم موضوعنا.
- كذلك الظروف الاستثنائية المتمثلة في الظروف الصحية التي نمر بها ( Covid 19) شكلت لنا صعوبة من خلال عدم التنقل للحصول على مادة أولية تخص الموضوع.

# الفصل التمهيدي

## لمحة جغرافية وطبيعية وتاريخية عن بايلك الغرب وتلمسان

**المبحث الأول: لمحة جغرافية وطبيعية**

**المبحث الثاني: لمحة تاريخية**

**المبحث الثالث: أصل تسمية تلمسان**

## المبحث الأول: لمحة جغرافية وطبيعية

قبل دخول صلب الموضوع المتمثل في الحياة الحضارية في بايلك الغرب وتلمسان تحديدا أثناء الحكم العثماني، كان الجدير بنا أن نقدم لمحة جغرافية وطبيعية وتاريخية عن إقليم العاصمة ومدينة تلمسان.

### أولا: بايلك الغرب

إن ما يسمى بايلك الغرب هو ما يعادل تقريبا القطاع الوهراني حاليا، كانت رقعة بايلك الغرب تمتد ما بين الحدود التالية: المملكة المغربية غربا وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، والصحراء جنوبا[1]، هذا من الناحية الجغرافية أما من الناحية الطبيعية فيحتوي بايلك الغرب على سهولا عديدة أهمها: سهل شلف به أراضي خصبة وهو طريق ربط بين البايلك ودار السلطان، ويمكن تقسيم البايلك طبيعيا إلى ثلاثة أقسام:

**أ-المنطقة الشمالية:**

انحصرت بين البحار والجبال من أهمها: جبال أرزيو، وهران، ترارة، وجبال تلمسان التي تمتد لجبال الريف بالمغرب الأقصى وتقع جبال تاسالة بجهة الغربية من البايلك، وجنوبا نجد جبال سعيدة التي امتدت للشرق مثل: جبال فرندة والونشريس، وشمالا جبال الظهرة.

أما السواحل فتنتشر به كتل صخرية كبيرة تمتد حتى جزر حبيبة شمال غرب وهران، ونجد بالمنطقة الشمالية سهل وهران يمتد من عين تموشنت غربا إلى نهر الشلف شرقا وتحده جنوبا جبال تاسالة، وبني شقران والونشريس، تتلقى المنطقة كميات معتبرة من الأمطار، فتنموا على المرتفعات أشجار بحر الأبيض المتوسط كالصنوبر والعرعار وغيرها، وكذلك الأشجار المثمرة كالتين والزيتون، ومساحات كبيرة من المنطقة تستغل للرعي.[2]

---

[1] – فتيحة الواليش: الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، تخصص التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 16.

[2] – كمال بن صحراوي: أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013م، ص ص 21-22.

**ب-الهضاب العليا:**

هي سهول عالية امتدت من السلسلة التلية في الشمال والأطلس الصحراوي في الجنوب، باتجاه الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، بحيث تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة 180كلم، ميز الهضاب العليا وجود الشط الشرقي جنوب سعيدة، حيث نجد في الهضاب العليا كميات متوسطة من الأمطار، فتنموا بها أعشاب قصيرة بالرغم من ممارسة زراعة الحبوب على نطاق واسع، أغلب أراضيها رعوية أما المناطق الساحلية أهم وأغنى.

**ج-المنطقة الجنوبية:**

مساحتها واسعة قاحلة، يعتمد فيها على تجارة وتربية المواشي والزراعات المعيشية، والظروف الطبيعية للمنطقة تدفعهم للتنقل والترحال إلى الشمال بحثا عن الماء والكلأ، بداية هذه المنطقة بجبال الأطلس الصحراوي المكونة في الغرب من جبال القصور، العمور، هي معابر للاتصال والتنقل بين الشمال والجنوب.[1]

ويمكننا القول أن هذا الإقليم يتميز بالتنوع الجغرافي والطبيعي إذ به مختلف المظاهر الطبيعية من شريط ساحلي، جبال، هضاب، سهول، صحراء.

**ثانيا: تلمسان**

بعد أن تعرضنا للتعريف الجغرافي والطبيعي لبايلك الغرب ننتقل للحديث عن أهم مدينة في الإقليم جغرافيا وطبيعيا والتي تمثل جوهر دراستنا والمتمثلة في مدينة تلمسان.

فجغرافيا تعتبر تلمسان من المدن القديمة في الغرب الجزائري، قريبة من حدود المغرب، تقع على ارتفاع 830 متر من سطح البحر، وتحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية، ويحدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة وجبال فلاوسن، أما من الشمال الشرقي فتوجد المرتفعات السبع شيوخ وتاسلة[2]، أما من الناحية الطبيعية فنجد:

[1] – كمال بن صحراوي: المرجع السابق، ص24.

[2] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني –دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية –دط، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،2002م، ص87.

**أ-السهول والمسطحات المائية:**

تشرف مدينة تلمسان من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول (الحناية)، الممتدة نحو الغرب حيث تتصل بسهول لالة مغنية ولا تبعد عن البحر إلا بسبعة فراسخ، ويتوفر موقعها على المسطحات المائية بحكم التكوينات الجيولوجية التي تخزن كميات هائلة من مياه الأمطار، بالإضافة إلى وادي متشكانة الذي يمر بجنوب المدينة وبشرقها، ولقد أعطتها أهمية موقعها تفتح أبوابها لتجارة أوروبا والمغرب والمشرق، كما تمتاز تلمسان بخاصية استراتيجية بوقوعها في مكان تقاطع الطريقين التجاريين الهامين في بلاد المغرب وهما: الطريق الرابط بين الشرق والغرب، المار بوادي شلف إلى تلمسان ومنها إلى فاس، والطريق الذي يصل الشمال بالجنوب مرورا بمدينة فجيج وتوات إلى بلاد السودان.[1]

**ب-المناخ:**

يسود تلمسان مناخ متوسطي، وفير الأمطار في الشتاء[2]، وذلك لموقعها الذي يتوسط البحر والمرتفعات الجبلية الذي جعلها تتمتع بمناخ صحي معتدل وملائم ولطيف، فالمنطقة تجمع بين مناخين ساحلي وداخلي، ومنه فتساقط الأمطار فيها غير منتظم، فشتاءها بارد وصيفها حار وجاف، وبما أنها محاطة بمرتفعات فان الثلوج تتساقط بها في فترات متأخرة من فصل الشتاء إلى غاية شهر مارس. كما تعرف تلمسان هبوب رياح مختلفة منها: الرياح الغربية التي تستمر إلى غاية شهر مارس، والرياح الجنوبية الغربية، والغربية الشمالية التي تستمر إلى غاية الشهر ماي.[3]

**ج-المرتفعات والسهول:**

يعتبر ساحل تلمسان صخريا يتخلل مرتفعاته خلجان، تكونت بفعل عامل التعرية، كخليج هناين وسيدي وشع وميناء شقرون، ثم يليه خليج أكرا وولهاصة، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه السلسلة الصخرية تنقسم إلى قسمين:

---

[1] – عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص 88.

[2] – ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، دم،2001م، ص10.

[3] – خالد بالعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن–دراسة تاريخية وحضارية 633هـ،661هـ، ط1، دار الألمعية، الجزائر،2011م، ص88.

**1-سلسلة مرتفعات تافنة:**

**أ-سلسلة مرتفعات تافنة الواقعة غرب وادي تافنة:**

وهي سلسلة كبيرة لجبال ترارة، وأعلى قمة بها هي جبل فلاوسن (1136م) و(جبل تجيرة).

**ب-المرتفعات الواقعة شرقي وادي تافنة:**

نجد مرتفع سبع شيوخ (660م)، وعلى حدوده الغربية مجرى وادي تافنة الذي يسقي أراضي وبساتين تلمسان وضواحيها.

**2-سلسلة مرتفعات تلمسان:**

تكوينها جيري تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي، وفي أعلى المرتفعات نجد جبال الرملية (1200م)، وجبل الناظور (1578م)، وجبل ميمون(1536م)، وغربا مرتفعات بني سوس التي تضم جبل عصفور (1502م)، وجبل تنوشفي (1842م).[1]

**3-سهل تلمسان:**

هو في الأصل عبارة عن هضبة متموجة واسعة، تتخللها هضبات صغيرة، تسقى بجريان بعض الوديان كوادي تافنة ووادي يسر، وعند التقاء هاذين الوادين يشكلان سهول مغنية، الذي يمتد إلى سهل أنجاد بالمغرب الأقصى، ثم نجد بالوسط سهل الحناية، المحاط بهضبات زناتة.[2]

**المبحث الثاني: لمحة تاريخية**

بعد أن تطرقنا إلى إقليم الغرب وتلمسان جغرافيا وطبيعيا، ننتقل في هذا المبحث إلى التعريف التاريخي بالإقليم ومدينة تلمسان.

[1] – هاشمي آمال: دور الإدارة الفرنسية في تلمسان وضواحيها مابين 1842-1897، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، 2018-2019م، ص ص3-4.

[2] – نفسه: ص5.

**أولا بايلك الغرب**

أما عن تاريخ الإقليم فان تاريخه يعود إلى النصف الأول من القرن (16م)، خلال حكم حسن بن خير الدين (1540- 1552)، حيث قسمت البلاد إلى أربع مقاطعات، وفي (1563م) أصبحت مازونة عاصمة للبايلك[1]، وتولى الحكم الباي ابن خديجة، بتعيين من حسن آغا بالناحية الغربية سنة(1563م) وهو بذلك الباي الأول، وتجدر الإشارة إلى أن الأتراك في الجزائر شكلوا بايلك الغرب بعد دار السلطان، وكانت له عاصمتان مازونة وتلمسان، وسمي ببايلك مازونة.[2]

**ثانيا: تلمسان**

تعتبر تلمسان مدينة عظيمة وهي دار مملكة[3]، وكانت هذه المملكة دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة، وحواليها قبائل كثيرة من زناتة، وغيرهم من البربر وهي أول بلاد المغرب[4]، وبما أن مدينة تلمسان عريقة وضاربت بجذورها في التاريخ، فقد ارتأينا أن نتبع باختصار تاريخ هذه المدينة العريقة منذ فترات قديمة سابقة للفترة التي نحن قيد دراستها:

**أ-تلمسان ما قبل التاريخ:**

في العصر الحجري وبالقرب من مدينة تلمسان ،كانت المنطقة مأهولة بالسكان كما يتضح من اكتشاف ج-بلايتشر (*G-Bleches*) في (1875م)، الذي اكتشف معاول مصقولة في كهوف بودغن، تعود إلى العصر الحجري، أما في عام (1941م) قام ايستاوني (*Estauniè*) باكتشاف صاقلة للحجر في باب القرماديين تعود أيضا إلى العصر الحجري، وهي حاليا في متحف المدينة، وبحيرة قارة (1كلم) جنوب الرمشي، ومأوى تحت الصخور في مويلة (5كلم) إلى الشمال من مغنية وما يسمى بمنطقة أوزيدان (2كلم) شرق عين الحوت،

---

[1] – محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تح وتق: محمد ابن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1981م، ص16.

[2] – محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2007م، ص148.

[3] – أبي بكر الزهري: الجغرافية، دط، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الجيزة، دت، ص113.

[4] – محمد بن عبد المؤمن الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص135.

كأهم ثلاث مناطق لجأ إليها الإنسان ما قبل التاريخ، واستقر فيها لمدة طويلة، خاصة مويلة وبودغن التي أصبحت فيما بعد مدينة مرموقة وذات شأن عظيم.[1]

**ب-تأسيس المدينة:**

إن تأسيس مدينة تلمسان يعيدنا إلى احدى الفترات المتميزة من تاريخ المدينة ونقصد بها الفترة الزيانية، حيث تعتبر نواة هذه المدينة (أغادير)، التي اختطها بنو يفرن الزناتيون في العصور القديمة، كانت هي والمناطق المجاورة منطقة التوطن لقبيلة زناتة الكبيرة، وثاني القبائل القوية بالمغرب العربي بعد صنهاجة وتليها كتامة، ونظرا لأهمية أغادير، نسج حولها أساطير كثيرة يحكونها عبر التاريخ، من بينها الأسطورة التي تدعي بان القرية أزلية الوجود، وان الجدار الذي ورد ذكره في القرآن الكريم حول قضية الخضر مع موسى عليهما السلام، يوجد بهذه القرية أغادير[2]، وعندما استقر إدريس الأكبر بالمغرب الأقصى، اتجه إلى إقليم تلمسان واستمال إليه الأمير محمد بن خزر بن صولات الزناتي الذي حمل مغراوة وبني يفرن على طاعة إدريس ومكنه من السيطرة على أغادير، فأقام بها أشهرا واختط مسجدا ومنبرا، وبعد رحيله استخلف على أغادير وإقليمها أخوه سليمان بن عبد الله الذي قدم من المشرق.

وفي ولاية إدريس الثاني الأصغر زار أكادير عام (197هـ-795م) وأقام بها ثلاث سنوات اخضع خلالها قبائل زناتة، وأصلح مسجد القرية ومنبرها، وبعد رحيله استخلف عليها ابن عمه محمد بن سليمان، وبعد وفاة إدريس الثاني قسمت مملكته بين أبنائه وبني عمه، بوصية من امه كنزة، وكانت مدينة أغادير من نصيب عيسى ابن إدريس بن محمد بن سليمان، بينما كانت ضواحيها وأحوازها من نصيب محمد بن سليمان الإدريسي.[3]

وعندما سقطت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ظهر موسى بن أبي عافية الشيعي، فقام بغزو المنطقة أغادير، ونجح في ذلك على أميرها الحسن الإدريسي، الذي لاذا بالفرار

---

[1] - بن زعيط عبد الرحمان، بسقلال رمضان: تلمسان...الكنز الأثري السياحي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص اتصال سياحي، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،2017-2018م، ص40.

[2] - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطية، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009م، ص210.

[3] - نفسه: ص211.

وقام بمقاومة ابن أبي عافية وأمراء الشيعة حيث تغلب (يعلي بن محمد بن صالح اليفريني) على منطقة زناتة والمغرب الأوسط، ووسع نفوذه حتى شمل وهران وتيهرت حوالي عام (340هـ-854م)، حتى قامت الدولة الفاطمية، فغزت أغادير والمغرب وقضت عليهم، وقتل جوهر الصقلي يعلي فورا.

دخلت أغادير تحت حكم الصنهاجيين، وعاشت أغادير عهد من الاضطرابات نتيجة لهذه الحروب، بين الحماديين الصنهاجيين وأمراء المدينة اليفرينية، وخلال حكم محمد بن تينعمر المسوفي على أغادير أسس قرية (تاكرارت) ومعناها المحلة أو المعسكر وكانت في بداية الأمر هذه المحلة مفصولة بسور أغادير، ثم بعد مدة من الزمن أزيل هذا السور، وضمت تاكرارت إلى أغادير وتكونت منها مدينة تلمسان الحالية.[1]

فبقيت تلمسان تحت حكم المرابطين حتى قامت دولة الموحدين على أنقاضها، وقام عبد المؤمن بن علي بغزو مدينة تلمسان (540هـ-1145م) بعد أن سيطر على وهران وقضى على أمير المرابطين بها يوسف بن تاشفين بن علي، وشهدت تلمسان خلال عهد الموحدين تطورا هائلا في الحضارة والعمران، بحيث برز فيها من الزناتيين بني عبد الواد، وبنو توجين وبنو راشد الذين تغلبوا على ضواحيها والمغرب الأوسط وقد شيدها الأمير أبو عمران موسى بن يوسف بن تاشفين*، عندما تولى إمارتها عام (556هـ1261-م)عددا من الأبنية ووسع عمرانها وأحاط أسوارها بسياج متين حتى أصبحت من اعز معاقل المغرب.[2]

**ج-دولة بني عبد الواد الزيانية:**

-الزيانيون: أو بنو عبد الواد هم أصل من البربر، يرتادون صحراء المغرب الأوسط ما بين -مصاب -مزاب -إلى ملوية وفجيج ثم إلى سجلماسة-تافيلالت -حيث استقروا بأحواز تلمسان ووطدوا أقدامهم بها ببطولتهم الحربية وشجاعتهم الأدبية وحنكتهم السياسية.[3]

---

[1] - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص212.

* - يعتبر يوسف بن تاشفين من أعاظم الرجال الذين أنجبهم المغرب الإسلامي، قام بدور رئيسي في تاريخ المغرب نفسه، ثم في تعريب المغرب الجنوبي والشرقي وتعميق جذور الإسلام فيه ثم في تاريخ الأندلس للمزيد انظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ط1، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،1997م، ص25.

[2] - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص213.

[3] - عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دط، ج2، مكتبة الحياة، بيروت،1965م، ص125.

**-حدود الدولة الزيانية:**

كانت حدود هذه الدولة غير ثابتة، إذ أنها كانت تضيق وتتسع، حيث قوة جيرانها وضعفهم وهم بنو حفص في الشرق وبني مرين في الغرب، إلا أن حدودها كانت تمتد طولا من البحر المتوسط شمالا إلى صحراء الجزائر جنوبا، وعرضا من جبال سعيدة ووادي ميتة شرقا إلى واد ملوية ومدينة وجدة غربا.[1]

**-تاريخهم:**

يرجع أصل بني عبد الواد إلى قبيلة زناتة البربرية، التي استقرت شمال الصحراء الكبرى، ثم هاجرت في حدود القرن الحادي عشر إلى الجزائر، وكان بنو عبد الواد من أنصار الموحدين، نقل هؤلاء إليهم إدارة تلمسان بعد سقوط الموحدين.

استقل يحي بن يغمراسن بالحكم (1236م-1238م) حيث تمكن من وضع قواعد لدولة قوية في عهده ثم خلفائه، بعدها أصبحت تلمسان مركز لنشر الثقافة ومركز تجاريا أيضا، تأرجح بنو عبد الواد بعد ذلك بين وصاية المرينيين أصحاب المغرب تارة ثم الحفصيين أصحاب تونس تارة أخرى.[2]

أعيد إحياء سلطة الدولة وبلغت الثقافة ذروتها، ففي عهد أبو حمو الثاني (1359-1389م) قبل أن يقعوا مرة أخرى تحت سيطرة الحفصيين ومنذ سنة (1510م) وبسبب التهديد الإسباني وضع بنو عبد الواد أنفسهم تحت حماية الأتراك الذين استولوا على مدينة الجزائر على يد عروج وبربروس عام (1516م) فشهدت بعدها سنوات (1552م) و(1554م) استلاء الأتراك على غرب الجزائر، بعد عزل آخر سلاطين بني عبد الواد.[3]

**المبحث الثالث: أصل تسمية تلمسان**

أما عن أصل التسمية فقد وجدنا الكثير من الاختلافات حول اسم المدينة تبعا للفترات التاريخية التي تعاقبت عليها، حيث اختلف علماء الآثار والمؤرخون حول تسمية تلمسان، فهي لم تكن تحمل اسما واحدا بل تعددت ونعتت بأسماء عدة نذكر منها: بوماريا، أغادير،

[1] - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مج3، مكتبة مجبولي، القاهرة، 1994م، ص109.

[2] - بن زعيط عبد الرحمان، بسقلال رمضان: المرجع السابق، ص ص 43-44.

[3] - نفسه: ص44.

تاقرارت، فالفظة الأولى (بوماريا) لا يعني أن المدينة ذات تأسيس روماني، فلا شك أنه أقدم من الوجود الروماني في تلك الناحية من البلاد، ولا شك أنها تحمل اسما آخرا بربريا لان موقعها الطبيعي من شأنه أن يجعل منها ارض استقرار آهلة، فلا يمكن إذن أن تبقى بدون اسم.[1]

لما استتب الأمر للبربر بعد تفويض نفوذ الأجانب من روما والوندال والروم اطلقوا عليها بلغتهم (أغادير) ما يعادل العبارتين العربيتين (جدار قديم ومدينة محصنة)، فالمعنى الأول يدل على أن أغادير عريقة في القدم أزلية ونفهم من المعنى الثاني أن أغادير كانت مدينة ولكنها تغاير المدن المثبوتة حينئذ في ذلك الإقليم وكانت محصنة وأبت الطبيعة إلا أن تزيدها تحصينا – الوادي من جهة والجبال من جهة أخرا بحيث لا يخاف سكانها من إيقاع المتمردين أيام الفتن والاضطرابات ،ثم سميت المدينة (تلمسان)، وهذا الاسم في لغة زناتة قوم الإقليم.[2]

فتلمسان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، البعض يقول تنمسان بالنون عوض اللام، بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت، واسم القديمة أغادير يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر.[3]

ويقال إنها تتكون من كلمة تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين، أي تجمع بين اثنين هما التل والصحراء[4]، ويقال أيضا تلشان مركب من كلمتين تل وشان أي لها شأن عظيم وتعتبر مدينة عريقة في التمدن لذيذة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت.[5]

---

[1] – محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور–دورها في سياسة وحضارة الجزائر–تق: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،2007م، ص12.

[2] – نفسه: ص13.

[3] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، دط، مج2، دار صادر، بيروت،1977م، ص44.

[4] – مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، ج2، تق وتص: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص44.

[5] – يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، دط، مج1، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ص09.

ومجمل القول فإن إقليم الغرب وتلمسان قد عرفا تنوعا من حيث موقعهما الجغرافي والطبيعي، كما عرفا وضعا تاريخيا مميزا عبر العصور، بحكم أن الإقليم ومدينة تلمسان كان لهما تاريخ يمتد إلى ما قبل الفترة قيد الدراسة والتي شكلت لنا مرجعا تاريخيا يساعدنا في فهم بعض القضايا والإشكاليات التاريخية التي عرفها الإقليم وتلمسان.

# الفصل الأول

## أوضاع تلمسان خلال العهد الزياني

**المبحث الأول: الأوضاع السياسية**

**المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية**

**المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والاقتصادية**

إذ تناولنا في الفصل التمهيدي لمحة جغرافية وطبيعية وتاريخية عن الإقليم ومدينة تلمسان، فإننا في هذا الفصل ننتقل إلى مختلف أوضاع تلمسان خلال العهد الزياني.

**المبحث الأول: الأوضاع السياسية**

**أ-الزيانيون:**

كان بنو زيان ولاة على الجزائر قبل الموحدين، وكانوا من أمراء القبائل الرحل، التي تنتقل في الصحراء الكبرى خلف الماء والكلأ والمراعي ثم ساعدتهم الظروف والأحوال التي مر بها المغرب على استقرار وتكوين دولة.[1]

بحيث أطلق بنو زيان على أنفسهم لقب (أمير المؤمنين)، وقسموا السلطة إلى ثلاث شعب، الشعبة العسكرية يتولاها (صاحب السيف) والسلطة الإدارية يتولاها (صاحب القلم)،والسلطة القضائية يتولاها (قاضي القضاء)[2] وهما فرع من زناتة الآتية من مغراوة الذين سادو إفريقيا كلها[3]، ويجمعهم مع بني مرين أصل واحد[4]،احتفظوا بالملك مدة ثلاثمائة سنة، إلى أن انتزع منهم يغمراسن بني زيان الحكم، وورثه عنه أحفاده، بحيث هؤلاء الملوك بدلوا اسمهم ودعوا بني زيان أي أولاد زيان، لان زيان هذا كان والدا ليغمراسن، وهم ينتسبون إلى بني واسين، يخيمون بالزاب والأوراس.[5]

**ب-تأسيس الدولة العبد الوادية (الزيانية):**

إن مملكة آل زيان الأصلية هي مواطن عبد الواد وأحلافهم بني راشد الممتدة طولا من البحر إلى الصحراء وعرضا من ناحية وادي مينة وجبال سعيدة، حيث يجاوران توجين ومغراوة إلى ملوية[6]، حيث تعتبر دولة الموحدين من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي، إذ

---

[1] – علي محمد الصلابي: دولة الموحدين، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007م، ص221.

[2] – أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،2001م، ص65.

[3] – مارمول كربخال: إفريقيا، ج2، تر: عمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط،1988م، ص303.

[4] – عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، دط، ج1، المطبعة التجارية، بيروت،1883م، ص56.

[5] – حسن الوزان: وصف إفريقيا، ط2، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1883م، ص07.

[6] – مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص440.

بدأ الضعف يدب في جسمها بعد معركة العقاب (609هـ،1212م)، حيث أعلن الصليبيون حملة واسعة النطاق ضد المسلمين بالأندلس، فجاءهم المتطوعون من فرنسا وكذا ألمانيا وأيضا إيطاليا، وقاد الناصر ابن منصور بالله جيش المسلمين وكانت عدته كما، تقول بعض الروايات حوالي نصف مليون من المحاربين، فهذه المعركة كانت لنهاية دولة الموحدين بالأندلس.[1]

إن هذه الهزيمة التي حلت بالموحدين كان لها ذيولها على سياسة الدولة ومستقبلها، فقد ضعفت معنوية الجيش بعدها وأصبحت سياسة الموحدين الحربية تكتسي إثرها صبغة دفاعية محظى، وكان لها أثر معنوي على نفس الناصر فأهل شؤون الدولة ثم مات فخلفه صبيا صغيرا لا يدري كيف يواجه شؤون الملك.[2]

وأثر هذا السقوط لدولة الموحدين، تقاسمت بلاد المغرب إلى ثلاث إمارات، الإمارة الحفصية في إفريقية والمرينية في المغرب الأقصى والعبد الوادية في المغرب الأوسط، ولما تولى الأمير يغمراسن بن زيان السلطة في تلمسان سنة (633هـ-1236م)، أعلن في البداية ولائه الرمزي للموحدين حتى يزكو توليته ولا يلفت نظر بني مرين والحفصيين.[3]

ولم يستولي بنو عبد الواد على تلمسان إلا بعد أن حدثت اضطرابات وثار أحد رجال لمتونة المستخدمين آنذاك في الجند على الوالي واعتقله، فكان دخول بني عبد الواد تلمسان سنة (627هـ)، بقيادة جابر بن يوسف كخطوة أولى نحو تأسيس دولتهم ثم آلت إمارة بني عبد الواد بعد وفاة جابر إلى ابنه الحسن (629هـ)، فأخيه عثمان (630هـ-631هـ)، ثم إلى ابن عمه زيدان (631هـ-633هـ) واصطدم زيدان بمعارضة قوية من بعض عناصر قبيلته، فحاربهم لكنه قتل أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان فخلفه أخوه يغمراسن.[4]

---

[1] – الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي: إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، تق: راغب السرحاني، مراجعة وإشراف: قاسم عبد الله ومحمد عبد الله، مؤسسة اقرأ، القاهرة، دت، ص403.

[2] – إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ-من عصر ماقبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين -دط، ج1، دار الرشاد، 2000م، ص296.

[3] – لطيفة بشاري بن عميرة: (علاقة بني عبد الواد -بنو زيان -تلمسان -ببني مرين -المغرب)، مجلة أفكار وآفاق، العدد 3، الجزائر 2، 2012، ص60.

[4] عبد الحميد حاجيات: أبو موسى الزياني -حياته وآثاره-دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974م، ص12.

حيث يقول عبد الرحمان بن خلدون "كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من اشد هذا الحي بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح القبيلة وأقواهم كاهلا على حمل الملك واطلاعا بالتدبير والرياسة".[1]

**ج-الوضع السياسي لتلمسان خلال العهد الزياني:**

يذكر في هذا الصدد التنسي في كتابه "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" بقوله: "لما بويع أمير المسلمين يغمراسن بني زيان، أوضح للخلافة الحسنة الأثار ورفع لمن ضل على السبيل هداها على المنار، فابتهج الدهر لوجوده وأشرق من فلك اليمن نجم سعوده، واخضر للملك ما كان قد ذبل من عوده..."[2]حيث كان يغمراسن بن زيان يتحرز من نيات الموحدين والحفصيين، وكان على حذر من أطماع بني مرين، فقد كان بينه وبينهم وقائع متعددة إلا انه كان مرتبطا مع الرباط الموحدي برباط المودة[3].

فالبدايات الأولى للصراع على تلمسان تمثلت في الحملة الأولى التي قام بها الحفصيون على المدينة بقيادة سلطانهم أبي زكريا سنة(639هـ-1241م)، (640هـ-1242م)، حيث جهز جيشا لغزوها فحاصرها اشد الحصار إلى أن فتحها في شهر صفر سنة أربعين وستمائة ملحقا بها قتلا للسكان، ونهبا للخيرات والمنافع، وتخريب للعمران، أما خلال القرن 9هـ/15م عرف المغرب الأوسط تدخلات متتالية في شؤون الدولة الزيانية من جيرانها الشرقيين الذين حاصروا تلمسان مرات عديدة، التي انتهت كلها بالقتل والنهب، فضلا عن استبداد صاحبها عبد الواحد الذي استولى عليها بقوة، ولم يدم حكمه طويلا حيث أزاحه الحفصيين وأقاموا بدله محمد بن أبي تاشفين، كما نجد العودة المتكررة للتدخل الحفصي في شؤون الدولة الزيانية الداخلية سنتي (832هـ-428م) و(835هـ-1431م)، وأخطر حملة على الزيانيين كانت أيام السلطان الحفصي المنتصر، حيث غزا تلمسان وكذلك حاصرها،

[1] عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دط، ج7، مرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص105.

[2] محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان -مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان-، دط، تح وتع: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر،2011م، ص115.

[3] محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص84.

كما عرفت تلمسان غزوا آخرا سنة (870هـ-1466م) من جيرانها الحفصيين بعد نكث البيعة الحفصية كل مرة.[1]

إذ تعرضت المدينة للحصار بعد معارك طاحنة وشرسة بين الجيش، انتهت هذه المرة بتدخل القضاة والفقهاء، لدى السلطان الحفصي طالبين العفو منه، فاشترط عليهم البيعة وفعلا تم ذلك، أما عن صراعاتها الغربية مع جيرانها المرينيين فانه اعتبر اشد وأخطر من السابق، فالحملات العسكرية التي قام بها المرينيون أواخر القرن (7هـ/13م)، وطوال القرن الثامن هجري /الرابع عشر الميلادي على ممتلكات وأراضي الدولة الزيانية انتهت اغلبها بمحاصرة تلمسان مرارا واحتلال أراضي واسعة من منطقة المغرب الأوسط.[2]

حيث قام السلطان المريني يوسف بن يعقوب بعدة حملات عسكرية ضد الدولة الزيانية، حيث قام بحصار تلمسان، فنفذ صبر التلمسانيين من ذلك الحصار وذلك التضييق ولم يبقى لهم إلا الخروج والاستماتة، ولكن الله انزل لطفه عليهم بمهلك يوسف، على يد خصي طعنه بخنجر فقطع أمعاءه وهرب وذلك يوم الأربعاء (07 ذي القعدة سنة 706هـ-10ماي 1307م)، فتخلص حينئذ أهل زيان وأهل المدينة من عدوهم.[3]

ثم عقد أبو زيان صلحا مع أبي ثابت المريني خليفة أبي يعقوب، وبدأ يسترجع بعض المناطق الشرقية التي استولى عنها بني مرين أثناء الحصار وبذلك عادت إلى تلمسان أهميتها السياسية بالغرب، وأصبح سلاطينها أكثر استقلالا عن ذي قبل، ولما توفي أبو زيان (707هـ-1308م) خلفه أبو حمو موسى الأول، فاستهل حكمه بعقد الصلح مع أبي ثابت ليضمن استقرار الحدود الغربية[4]، والذي تميز عهده بـ:

- إصلاح ما تهدم خلال الحصار المريني وتوفير المئونة داخل تلمسان.

---

[1] - بلحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيها لأولياء الله من مفاخر المناقب "الجزء الأول" دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2017-2018م، ص13.

[2] - نفسه: ص ص 16-17.

[3] - محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص116.

[4] - لطيفة بشاري بن عميرة: المرجع السابق، ص64.

- استعادة الأراضي التي فقدتها الدولة واستولت عليها القبائل التي اغتنمت فرصة الصراع، فقامت بإعلان انفصالها عن الدولة.

والجدير بالذكر أن عبد الرحمان أبو تاشفين (718هـ-737هـ)، (1318م-1337م)، الذي اعتبر من أقوى أمراء الدولة بعد يغمراسن بن زيان فقد استطاع أن يغمر الثورات التي عرفتها الدولة، عرفت تلمسان فعهده ازدهارا في جميع الميادين، لكنه لم ينعم بهذه العظمة التي وصلتها الدولة، لأن الدولة المرينية رأت في بقائها خطرا عليها فتحالفت مع الدولة الحفصية، وبذلك أصبح أبو تاشفين يواجه الخطر الحفصي من الشرق والمريني من الغرب مما جعله يتحصن بتلمسان ويتولى قيادة الجيش بنفسه.[1]

وعندما دخل أبو الحسن المريني المدينة استمر في قتاله حتى سقط أمام قصره، حيث قام هذا الأخير بقيادة الحركة التوسعية على حساب الدولة الحفصية، إلا أن هذا الطموح توقف في القيروان، عندما تعاونت القبائل العربية عليه، حيث كان بني عبد الواد من مرافقيه في حملته وبعد ذلك توجه بني عبد الواد إلى تلمسان فاستولوا عليها، وعين أبو ثابت وأبو سعيد لتولي شؤون الدولة، حيث تمكن هذين الأخيرين من إعادة إحياء الدولة وتقسيم الحكم بينهما، ولكنهما واجها الخطر المريني من جديد ولم يستطيعا إيقافه فسقطا شهيدين، وبذلك الدولة من جديد إلى الاحتلال المريني.

ونعتقد أن أبو حمو موسى الثاني قد استطاع أن يغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية في عهد سلطانها أبي عنان، فعادت إلى تلمسان بمساعدة بني هلال الذين زودوه بقوة عسكرية مكنته من الدخول إلى تلمسان بعد القضاء على الحامية المرينية، وبذلك تمكن من إعادة المجد للدولة والذي وجد مساعدة من شيوخ تلمسان وأعيانها ومن بين هؤلاء موسى بن حمزة وعبد الله بن عثمان وسليمان بن موسى أبو عبد الله محمد المستعين بالله.[2]

[1] – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال السياسية –دط، ج1، منشورات الحضارة، 2009م، ص ص12-13.

[2] – نفسه: ص 13.

وبعد ذلك وجه ولده المتوكل على رأس القوة العسكرية لاستعادة إقليم الدولة، فاستولى على متيجة وملیانة وتنس، وخلال قيام المتوكل بالتوسع في إقليم الدولة قام احمد بن ناصر بن أبي حمو بثورة و أيدته طائفة من أهل تلمسان، لكنه لم يتمكن من القضاء على الأمير فألقي عليه القبض وقتل، ولمواجهة الثورات لجأ سلطان تلمسان إلى بناء السور العظيم الذي أحيط بالقصر، وفي تلك المدة نهض المتوكل من ملیانة، فاستولى على وطن بني راشد وهوارة، ثم مستغانم وتمزغران ثم عمد إلى وهران، فافتتحها ومنها دخل إلى تلمسان، حيث بدأ المتوكل في حياته السياسية بجمع أفراد الأسرة الزيانية، الذين شتتهم الاضطرابات والحروب التي عرفتها الدولة مما دفع ببعضهم إلى ترك تلمسان واللجوء للمرينيين والحفصيين وللقبائل العربية والبربرية، والهدف من وراء ذلك فك النزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة لكي تستطيع الدولة أن تحتفظ على قوتها واستمرارها.[1]

وخلاصة القول فان تلمسان كانت قد تعرضت في هذه الفترة أي الفترة الزيانية إلى الكثير من المشاكل السياسية جعلت منها منطقة توتر وصراع داخلي متمثل في التنافس على حكم المنطقة وصراع خارجي مع خصمها التقليدي المتمثل في المرينيين.

**المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية**

**أ-فئات المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني**

يتميز المجتمع التلمساني كغيره من المجتمع الجزائري ككل بالتنوع في تركيبته السكانية نتيجة الظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر والتي عرفت توافد هجرات بشرية بعضها غازيا وبعضها فاتحا، إضافة إلى فئات أخرى نزحت من الأندلس أو قدمت من الصحراء الكبرى، ومن بين هذه الفئات نذكر:

[1] - مختار حساني: المرجع السابق، ص ص15-16.

**-البربر :**

شكل البربر* السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع الزياني فيما يعرف بقبيلة زناتة، التي استوطنت المغرب الأوسط منذ العصور القديمة، وكان لها تأثير واضح في الحياة الاجتماعية والسياسية وفي شأن ذلك يقول ابن خلدون: "فاعلم أن جيل زناتة في المغرب جيل قديم معروف العين والأثر...والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى انه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة".

ومن جملة الفرق الزناتية التي سكنت تلمسان وضواحيها يذكر ابن خلدون: "ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل: مغراوة وبني يفرن، وجداوة، وبني يرنيان ووجديجن وواسين وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وكل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل الأوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى واد ملوية، وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الإسلام...".[1]

**-العرب:**

إن دخول العنصر البربري بلاد المغرب كان منذ بداية الفتح[2]، ومع ظهور الدولة الزيانية كان العنصر العربي منتشرا في محيط تلمسان، وقد أكدت المصادر انتشار العرب حول تلمسان وبداخلها فقالت "تعمرها أمشاج العرب والبربر" وينقسم العرب الذين سكنوا المدينة ومحيطها إلى:

1. تشمل العرب القادمين من الجزيرة العربية: عرفوا باسم البلديين، أو العرب الأفارقة، وتشمل أيضا العرب الشاميين الذين انتقل والى المغرب مع كلثوم بن عياض سنة

* شعب عاش في شمال إفريقيا كلها منذ القدم، ثم انحصر بعد ذلك في الشرق وتركز في الغرب من برقة إلى المغرب، وهذا الشعب كثير التفرع والانتقال والتداخل لم يعد من الممكن ربط أشتاته سواء في الجنس أو اللغة أو العادات والتقاليد للمزيد أنظر: محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي-ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا-دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص187.

[1] - فؤاد طوهارة: المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني (7هـ-9هـ/15-13م)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 16حزيران، جامعة 8ماي 1945م، قالمة-الجزائر، 2014م، ص55.

[2] - عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، دط، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص17.

(122هـ-740م)، تحت عنوان الجيش الأموي القادم من الشرق لإخضاع الخارجيين البربر.

**2.** القبائل الهلالية: اقتربت هذه القبائل من تلمسان خلال منتصف القرن الخامس هجري، حيث امتزجوا مع سكان تلمسان على العهد الموحدي، وذلك من خلال إسكان عبد المؤمن لبعض البطون العربية داخل المدينة عندما كانت تعمل بالجيش الموحدي باعتبارها إحدى مراكز الدولة الموحدية، وبذلك اختلط العرب الهلاليين مع البربر بفترة مبكرة من قيام الدولة الزيانية، ومن أهم زعمائهم بداخل تلمسان عياد بن عياد وبني عساكر من قبيلة رياح الذين دخلوا المدينة سنة (666هـ-763هـ/1268-1362م)[1].

**-الأتراك :**

وجد بتلمسان عناصر مسلمة قادمة من الشرق وهم الأتراك أو الغز، فكانت بداية قدومهم إلى المغرب بحدود سنة (534هـ-1139م) عن طريق مصر، ويعود تقدم الغز نحو بلاد المغرب إلى نجاح ثورات شاه بن أيوب في فتح اليمن سنة (569هـ-1173م)، حيث شاركوا في الدفاع عن المدينة مع الموحدين ضد ثورة ابن الغانية، فاستقر جزء منهم في المدينة واختلطوا مع السكان، وبعد قيام الدولة الزيانية استخدمهم يغمراسن في جيشه، وأكد بعض المؤرخين وجود الغز داخل تلمسان ودخولهم الجيش واستخدموا في الجيش لأجل براعتهم في الرماية والقوس والنشاب والرمح.[2]

**-الأندلسيون:**

حيث شهد المغرب الأوسط وافدا جديدا، ساهم بقدر كبير في إثراء البنية الاجتماعية[3]، كان ترددهم على المغرب الأوسط منذ القرن (7هـ-13م)، وتواجدوا بكثافة في

---

[1] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني(633هـ-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس –فلسطين،2002م، ص ص147-148.

[2] – نفسه: ص 150.

[3] – Saida Benchikh-Boulanouar: L'Algerie , par ses Archives،casabah editions, Alger, 2015, p135.

المجتمع الزياني في نهاية القرن الثامن وطيلة القرن التاسع الهجري /الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، ولقد كان هؤلاء الوافدين من أهل الأندلس أصحاب مال[1] وكذا الصنائع، تفوقوا في الإسهام في العلوم بصفة عامة والفنون والآداب بصفة خاصة[2]، ومن الأسر التي اشتهرت بأدوارها في إدارة شؤون البلاد بنو الملاح القرطبيون الذين نزلوا تلمسان.[3]

بحيث اتخذهم السلطان أبو حمو موسى الأول (708هـ-718هـ/1308م-1318م) أمناء على بيت المال، واسند لهم مناصب سلطانية كوزارة المال والحجابة وذلك لما يتمتعون به من خبرة فبرز منهم عدد من الوزراء منهم: محمد بن ميمون بن ملاح، وإبراهيم بن محمد بن ميمون، إلى جانب المراتب الإدارية والمناصب السلطانية التي تعكس مكانتهم لدى الأسرة الحاكمة.

**-اليهود:**

استقر اليهود ببلاد المغرب منذ العهد القديم، ولما فتح المسلمون بلاد المغرب وجدو جاليات يهودية تقطن مناطق ومدن مختلفة من بلاد المغرب، استقرت طائفة منهم في العاصمة الزيانية، بعد الضغط الذي تعرضوا إليه من قبل القشتاليين سنة(794هـ-1391م) وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة (1492م) وكان من بينهم علماء وأطباء مثل الطبيب موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي المعروف بابن الأشقر الذي ذاع صيته كطبيب وأستاذ للطب بمدينة تلمسان.[4]

وهاجر إلى تلمسان العديد من الحرفيين والتجار وعملوا على تنمية الصناعة المحلية وتدعيمها وتنمية الحركة التجارية بتلمسان وتطويرها إلى جانب أهلها من التجار، حيث كانوا يقطنون بمدينة تلمسان داخل أحياء مغلقة، وكذلك بعيدين عن المسلمين وخارج أسوار المدينة قبل نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وكانت للطائفة اليهودية بتلمسان مقبرتها الخاصة بها وكذلك لها رئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة

---

[1] – Ibid p135.

[2] – فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص60.

[3] – Saida Benchikh-Boulanouar: op.cit, p135.

[4] – فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص60.

وصل بينهما وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية، فكان لهم حارة بالمدينة تسمى بحارة اليهود وهي تضم حوالي 500 دار يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء.[1]

**ب-اللغة:**

إن سكان تلمسان بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم العرقية كانوا يستعملون لغتهم ولهجتهم الخاصة بهم، وذلك على نطاق ضيق، فاللغة المتداولة والمستعملة بصفة رسمية في المجتمع التلمساني فهي اللغة العربية، وإلى جانبها اللسان الزناتي، لأن أغلب سكان المدينة كانوا من الزناتة ومن العرب.[2]

جمع أهل تلمسان الدين الإسلامي، وجعل منهم مجتمعا موحدا في العادات والتقاليد والسلوك، يتحدث اغلبهم اللغة العربية لأنها لسان الملة وبها نزل القرآن الكريم، وقد احتضن أهل تلمسان كغيرهم من سكان الحواضر المغربية اللغة العربية، فهم يعتبرونها جزأ لا يتجزأ من الإسلام وهي إحدى ركائزه، فتمسكوا بها لعنايتهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المصدرين الأساسيين في التشريع الإسلامي.[3]

**ج-عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني:**

من عادات أهل تلمسان وسكان المغرب الأوسط في العهد الزياني الاحتفال بالأعياد الدينية شأنهم في ذلك شأن المجتمعات والدول الإسلامية، ويذكر الونشريسي أن الاحتفال بالمولد النبوي كان يلقى اهتماما كبيرا من قبل ولاة الأمر وسائر طبقات المجتمع، حيث اعتاد الناس على إيقاد الشموع، وركوب الدواب لإظهار الفرح والسرور بمولده عليه السلام. حيث ورد في إحدى الدراسات بأن أهل تلمسان اهتموا أيضا بميلاد أطفالهم، فكانوا يعدون العقيقة، وهي وليمة يذبح فيها الخرفان، وكذلك كانوا يحتفلون بختان الأطفال، فيقيمون بهذه المناسبات وليمة للأهل والأقارب.[4]

---

[1] – عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص193.

[2] – نفسه: ص195.

[3] –نفسه، ص196.

[4] – فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص72.

أما عن العادات المتبعة في الأفراح فيذكر الوزان ما تقوم به النساء من صياح وولاويل ولطم على الوجوه والأطراف إذا مات لهم قريب، حيث يقول "في آخر بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن حتى يسيل منهم الدماء بغزارة وينتفن شعورهن نائحات مولولات يدوم ذلك سبعة أيام، تلك هي عادة العامة..."، وبعد مرور سبعة أيام على الوفاة يقوم أهل الميت بتلاوة القرآن الكريم على القبر ويستأجر أحدا لتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم، وبعد ذلك يقومون بتقديم الطعام للفقراء والأقارب للترحم على الميت ويسمى هذا عشاء القبر للميت.[1]

كما اهتم أهل تلمسان نساء ورجالا بمظهر اللبس والمأكل، بحيث كانوا يلبسون أحسن الثياب في مختلف فصول السنة، ويفضلون لبس اللون الأبيض والثياب الخفيفة في فصل الصيف، ويعتنون بهيئتهم وهندامهم، حتى الفقهاء والصالحين والعلماء كانوا يرتدون اللباس الملائم وكذلك الأحارم التونسية المستورة والمشهورة وتخضع درجة أناقتهم لحالتهم الاجتماعية والمادية والثقافية لكل أسرة في تلمسان.

فقد تميز سكان المدن بصفة خاصة بالألبسة الأنيقة، بينما يلبس أهل البدو ألبسة بسيطة من الكتان الصوف، حيث خضعت نوعية المعيشة لدى أهل تلمسان كغيرها من سكان الحواضر الإسلامية إلى مستواها الاجتماعي والمادي لدى كل أسرة، فإذا كانت الطبقة العامة من الناس تتميز بالبساطة فان الطبقة الخاصة كانت تتأنق في الأكل والشرب، وكان التلمسانيون يأكلون على الموائد وبالملاعق وكانوا يستعملون القصع والبرم وأواني أخرى، وكانت المرأة تصنع الخبز من العجين وتطحنه في منزلها، ويؤخذ إلى فرن الحي، إضافة إلى ما يسمى بالسفنج أو ما يعرف بالفطير المقلي في الزيت، ويجلس أهل تلمسان على مائدة الأكل ثلاث مرات في اليوم.[2]

ومجمل القول فان المجتمع التلمساني هو خليط كباقي المجتمع الجزائري من السكان الأصليين، إضافة إلى عناصر وافدة إليه من أندلسيين وأتراك ويهود، حيث عرف العديد من العادات والتقاليد المختلفة.

[1] – فؤاد طوهارة:المرجع السابق, ص 73.

[2] – عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص ص 266-256.

**المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والاقتصادية**

**أولا: الأوضاع الثقافية**

**أ-عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان في عهد بني زيان:**

إن الذين كتبوا عن تاريخ دولة بني زيان سواء من الناحية التاريخية أو في النواحي الأخرى لم يغفلوا عن الإشارة إلى أن مدينة تلمسان في عهد بني زيان قد عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا ونهضة أدبية كبيرة، وقد وصف هؤلاء الباحثون هذه النهضة بنعوت عدة منها: الازدهار الثقافي، النشاط العلمي، والحركة العلمية، فمن عوامل نموا الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان في عهد بني زيان نجد:

- عناية بني زيان بالثقافة والعلم: لعل المكانة الرائدة التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية التي كان يتميز بها سلاطين وأمراء بني زيان، حيث استفاد أهل تلمسان بما كانوا يحملونه من علم وفكر وحضارة، فكانت لهم مشاركة جادة في تطوير الحياة الثقافية وترقيتها بالمدينة، فقد كان لأمراء بني زيان وسلاطينهم رعاية مستمرة للعلم والأدب، ومختلف علوم ذلك العصر، لأن من بينهم من كان ينتمي للفقه والشعر والأدب والفن مثل: السلطان أبي تاشفين الأول المولوع بالفن والعمران[1].
- انتشار المدارس: ظهر نظام المدارس في مدينة تلمسان ابتداء من العقد الأول من القرن(8هـ-14م)، وانتشرت عبر أحياء المدينة خلال هذا القرن، حيث خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين ولكل العاملين في المدارس، كما تكلفت بإعانة الطلبة ماديا بتحمل جميع النفقات والمصاريف، وحرص المشرفون على المدارس بإنشاء مكتبات وغمرها بالكتب، والظاهر أن سلاطين بني زيان كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه المدارس في المقام الأول إلى نشر التعليم و الثقافة من جهة، وتوجيه

[1] - عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص320.

الرعية كذلك، فقد كانوا يؤكدون على تدريس الفقه والأصول المستمدة من أفكار المذهب المالكي وآرائه.

- الرحلة في طلب العلم: حرص سلاطين بني زيان وفقهاء مدينة تلمسان على تمتين العلاقة مع أهل المغرب خاصة والمشرق والأندلس على وجه العموم، حيث انتقل الدارسون التلمسانيون لطلب العلم والاستزادة منه ولقاء الشيوخ المشهورين، حيث انتقالهم إلى تونس كان بدافع الرغبة في المزيد من الدراسة والتحصيل على شيوخ الزيتونة ومجمل القول فان التأثير الثقافي والفكري من خلال الفقهاء والأدباء التلمسانيين الذين تزودوا بمعارف المشرق ثم عادوا إلى بلادهم، ومن ابرز والمختصرات المشرقية والأندلسية الكثيرة التي كانت ترد إلى حواضر المغرب وعواصمه منها: مختصر ابن الحاجب والفروع[1].

**ب-عينة من العلماء التلمسانيين خلال العهد الزياني:**

ساهم النشاط الثقافي والديني لمدينة تلمسان في ظهور نخبة من العلماء تجاوزت شهرتهم المدينة والإقليم ومن بين هؤلاء العلماء نذكر:

- الشيخ أبو زيد عبد الرحمان ابن الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله والشيخ أبو موسى عيسى ابن الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله: أصلهما من برشك وهما إمامان مشهوران بالعلم والرئاسة قال فيهما يحي بن خلدون: "...أخبرني من ثقافته إن جدهما كان من أولياء الله الأبرار، وكانت له أريضة يعمرها بالخضر لمعاشه فعمد إليها ليلة لصان ليحتفروا منها اللفت، فأوثقتهما أرضا وأصبحا عبرة ونفع الله به".

قدم الإمامان إلى تلمسان في عهد أبي حمو موسى الأول فاحتفى بهما ورفع منزلتهما ثم ابتني لهما المدرسة المسماة باسمهما، ولهما في تلمسان خلف صالح، وقد وصل بعضهم

[1] – عبد العزيز فلالي: المرجع السابق، ص328.

إلى مراتب التدريس والفتيا في النوازل، توفي أبو زيد عبد الرحمان سنة (747هـ-1342م) أما موسى عيسى توفي سنة (749هـ-1348م).[1]

- أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله شهاب الدين الندرومي التلمساني: فقيها مقرئا عالما بالمنطق من أهل ندرومة اخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد وغيره، وصل القاهرة وتصدر بها للإقراء له كفاية العمل، اختصر فيه شرح شيخه ابن مرزوق على جمل الغنجي في المنطق كان حيا بعد الثلاثين والثمانين (1427م)على رأي صاحب نيل الابتهاج[2].

**ج-دور علماء تلمسان الخارجي:**

فالحركة الثقافية التي ظهرت في تلمسان لم يقتصر أثرها على الداخل، بل تعداها لتشمل إلى المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي وذلك من خلال:

- الفتاوى التي كانت تصدر من علماء المدينة ويتم تطبيقها في المغرب الإسلامي أو الأسئلة الواردة لعلماء المدينة للإجابة عليها وخاصة في الأمور الشرعية من جميع أنحاء المغرب، ويتضح ذلك الشمول من خلال كتب الفتاوى وخاصة كتاب المعيار المعرب للمنشريسي مثال: فتوى وردت إلى فقهاء تلمسان ونصها "وسئل من تلمسان الخطيب الشهيد أبو قاسم بن جزي عمن ثبت عليه من القضاء ...".[3]
- والمؤلفات والكتب التي كانت تصدر عن علماء المدينة وتدرس في مختلف الحواضر الإسلامية وخاصة كتب الشروح على القصائد والكتب الفقهية والخاصة على مذهب مالك.
- انتقال علماء تلمسان للتدريس في حواضر المغرب، فلم يبخل علماء المدينة بنشر علمهم وثقافتهم على طلاب العلم والمسلمين من مختلف المدن الإسلامية، فكان العلماء يهاجرون من تلمسان نحو مدن المشرق ومدن المغرب، ويأخذون عن علمائها

[1] – بوزيان الدراجي: أدباء وشعراء تلمسان، دط، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2002م، ص201.

[2] – محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص226.

[3] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص237.

وفي نفس الوقت يمنحون ما عندهم لطلاب هذه المناطق، ويعود معظمهم بعلم واسع لتلمسان ومثال ذلك العالم عبد الله الشريف الذي ذهب ودرس في غرناطة، وعفيف الدين التلمساني) 690هـ-1291م) الذي توفي بدمشق.[1]

ويمكننا القول أن تلمسان حتى وان لم تعرف استقرارا سياسيا كثيرا إلا أنها عرفت وضعا ثقافيا نشيطا تمثل في إنشاء المدارس والمساجد والزوايا، ومما زاد في تنشيط هذا الواقع الثقافي هو هجرة الأندلسيين واستقرارهم في بايلك الغرب وتحديدا تلمسان وكان تأثير ذلك واضحا في مختلف النشاطات الثقافية فظهرت نخبة من العلماء التلمسانيين في مختلف العلوم الشرعية وغيرها.

**ثانيا: الأوضاع الاقتصادية**

فالمملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها وتجارية بطبيعة موقعها، صناعية بطبيعة سكانها، وكانت الفلاحة بهذه المملكة أهم منابع الثروة وفلاحة القمح بالدرجة الأولى ويليها غراسة الزيتون، وكان من أنواع الفلاحة القطن وقصب السكر وسائر الحبوب والثمار والفواكه والبقول، فقد كانت لها مراسي كثيرة عن البكري بتعدادها ووصفها وذكر ما يناسبها من مراسي الأندلس[2]، حيث اعتمد معظم السكان داخل المدينة والمنطقة في تحصيل معاشهم، على العمل في المجالات التالية:

**-الزراعة:**

حيث ظهرت الزراعة نشطة داخل تلمسان وبقية المناطق التابعة لها نتيجة للعوامل التالية:

1. وجود السهول غرب وشمال تلمسان منها سهل متيجة، وسهل وادي الشلف وسهل منيعة.
2. توفير مياه الأنهار والينابيع الصالحة للري مثل وادي متشكانة.
3. اشتغال عدد كبير من مدن تلمسان والدولة الزيانية بهذه الحرفة.

[1] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان:المرجع السابق, ص237.

[2] – مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص483.

تميزت تلمسان بوفرة الأراضي السهلية من الناحية الغربية والشمالية، حيث وصف المؤرخون الزراعة في تلمسان قائلا "وما جاورها من مزارع كلها مسقى وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة"، حيث عرفت بوفرة إنتاجها الزراعي على مر العصور، حتى انه أطلق عليها اسم بوماريا أي البستان، وكانت تلمسان تحصل على كمية الزرع من خلال أخذها العشر على المزروعات وأهمها القمح والشعير، فمثلا كان السلطان أبو حمو الأول يحصل على عشر الإنتاج في المناطق الشرقية ويرسله إلى احد الحصون القريبة من تلمسان، وتأثرت الزراعة في تلمسان بالحالة السياسية التي عرفتها المدينة حيث كانت المزروعات تتعرض للدمار والسلب والنهب من قبل المهاجمين، حيث تنوعت المنتوجات الزراعية في تلمسان منها: الحبوب كالقمح، الشعير، الذرة، الخضروات، الفول، الخس، اللفت، الخيار، الخوخ، الرمان.[1]

**-الصناعة:**

حيث عرف النشاط الصناعي أواخر الدولة الزيانية ازدهارا كبيرا نتيجة للهجرة الأندلسية إلى مدن الدولة، ولكن هذا لا يجعلنا نقلل من دور سكان الدولة الزيانية، لأن الخبرة الصناعية في العهد الزياني وبالخصوص مرحلتها الأخيرة لم تعد تقتصر على الأندلس فقط، بل برز عدد من أهل البلاد في مختلف الصنائع، حيث عرفت تلمسان صناعة المنتوجات واشتهرت بها خلال العهد الزياني، بالإضافة إلى صناعة الأواني المختلفة، في الطقوم الفاخرة للخيل، إلا أن الحروب التي عرفتها الدولة الزيانية في مرحلتها الأخيرة أثرت على تحركاتهم لانعدام الأمن من جهة، ومن بين الذين كانوا يصنعون الفحم سكان جبل ورنيد جنوب تلمسان.[2]

**-التجارة:**

إن الحديث عن الحركة التجارية في الدولة الزيانية يرتبط أساسا بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجاري، ويتضح من خلال

[1] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص176.

[2] – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية–الأحوال الاقتصادية والثقافية–دط، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م، ص ص89–87.

ذلك أن لكل سوق وقت محدد لانعقاده ونوع معين من السلع التي يختص بها، حيث تشير بعض الدراسات إلى عدد من الأسواق الأسبوعية والموسمية في البوادي والمدن كسوق سيدي بوجمعة الذي يعقد كل يوم الأربعاء بمدينة تلمسان وسوق بني راشد الذي يعقد كل يوم الخميس، ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل، وكثير من المنتوجات وأشياء أخرى اقل قيمة كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل.

وتشير بعض الأبحاث إلى رواج بعض الأسواق المتخصصة في بيع العبيد السود في مدينة تلمسان لفئة التجار الأجانب، كما وجد عدد آخر من الأسواق الحرفية مثل: سوق الخرازين وسوق النحاسين، وسوق العطارين، وسوق الغزل والنسيج ويتحكم في إدارة هذه الأسواق وتسييرها فئات التجار على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم.[1]

وباختصار فان موقع تلمسان ووجود السهول والأنهار ساعد على النشاط الاقتصادي خصوصا الزراعة ودون أن ننسى نشاط الصناعة خاصة وبذلك اتسعت الأسواق بالمدينة لتصبح هذه الأخيرة –أي تلمسان–مدينة ذات اقتصاد متنوع.

[1] – فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص87.

# الفصل الثاني

## الواقع الاجتماعي لتلمسان خلال العهد العثماني

**المبحث الأول: إلحاق تلمسان بالحكم العثماني**

**المبحث الثاني: الفئة السكانية لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني**

**المبحث الثالث: نماذج من عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني**

**المبحث الأول: إلحاق تلمسان بالحكم العثماني**

يعتبر الدور الأساسي من تاريخ الدول الزيانية، يتمثل في كثرة التدخلات الإسبانية في شؤونها الداخلية والتلاعب بأقدارها ومصيرها ومحاولة الإحاطة بها من كل جانب تمهيدا لاحتوائها، كما يتمثل في بروز قوة الأتراك كطرف رابع في الصراع عليها إلى جانب بني مرين والسعديين والإسبان.

وكان الإسبان* بعد أن قضوا على الحكم الإسلامي بالأندلس 1942م، قد وجهوا نشاطهم لغزو بلدان المغرب العربي، ومحاولة منهم أيضا لاستعمار بلدان المغرب العربي من أجل استغلال إمكانياته الاقتصادية والموانئ الاستراتيجية من الناحية العسكرية، وقد واتتهم الفرص بسبل ضعف دولة المغرب العربي وتطاحنها فيما بين الأمراء الطموحين من جهة أخرى حتى في داخل البلد الواحد، تماما كما حصل في المنطقة العربية بعد ظهور دولة إسرائيل.

كانت الدولة الزيانية في هذه الفترة قد وصلت إلى أقصى درجة من الضعف، ابتداء من عام 1503م، أصبح الخطر الإسباني على الجزائر حقيقة واقعة.[1]

ففي عام 1517م طلب أبو زيان الاستنجاد من عروج على عمه (أبو حمو الثالث) الذي كان يخدم السياسة الإسبانية، وفي نفس الوقت حاكما لمدينة تلمسان، حيث قرر عروج السيطرة على تلمسان وحتى ظهره من أعوان الإسبان من العرب والبربر، تطلب منه الأمر أن يغزو إمارة "تنس" بزعامة "حميد العيد" حليفا للإسبان، ويستولي على قلعة بني راشد التي أمر عليها شقيقه إسحاق ثم دخل تلمسان.[2]

* – الإسبان فرقة من الروم وسمو بالإسبانيين نسبة لإسبانيا بقطع الهمزة المكسورة، وهي مدينتهم القديمة، أما الآن فقاعدة ملكهم مدينة "مدريد" بالميم ويقال لها مدريد ومسكنهم بأرض الأندلس من قطلان وبرشلونة، من جهة الشرق إلى لشبونة في جهة الغرب، ويجاورهم الفرنسيين من جهة الشرق، للمزيد أنظر: جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1800، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 89.

[1] – يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 79–80.

[2] – بن عتو بلبروات: أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، الحوار المتوسطي، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس، 2019، ص 74.

وفي إطار بداية التواجد العثماني بالمدينة يقول سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: "وعن مشاهير الطبقة الثانية بالمغرب الأقصى والأوسط يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين ويغمراسن بن زيان بني عبد الواد ومحمد بن عبد القوي بن وزمار لكبير بن توجين...قد كان لهذه الأمة من الأنفة والمتعة والإباية ما كان يمنعهم من الانقياد للملوك والرضا باستدامة الدول والدخول تحت جناح الذل، فكانوا لا يقرون لملوكهم على قرار ولا تتم قوة السلطان إلا والثورة تبشر بضعفه، حتى ضعف الطالب والمطلوب وهرمت دولهم فأوفت شمسها على مرقب الغروب، واستولى الخراب على مدنهم وقراهم وهلكت حاميتهم"[1]...فانتزوا على وهران فانتزعوها من يد قلموسن من بني عبد الواد المتأخرين، ثم تغلبوا على تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لنصرة أحد بني عبد الواد لما استغاث بهم، وكان ذلك منذ ابتداء ظهور الترك بالجزائر أيام عروج وأخيه خير الدين* رحمهما الله تعالى، وهما إذاك مشتغلان بجهاد الكفرة في البحر، ولهم في ذلك أخبار مأثورة ومفاخر مشهورة.[2]

فبقدوم الأتراك إلى الشمال الإفريقي غدت تلمسان أرض محرمة على الإسبان، فشعور أبو حمو الثالث بالخطر، واتصاله بالإسبان واتفاقه معهم، كان سبب في إبعاده عن الحكم، فأهالي المدينة لم يكونوا راضين على حكم بني زيان لهم بسبب ارتباطهم مباشرة مع الإسبان، حيث كان سلطان تلمسان مكلفا بدفع ضريبة تسوية للإسبان مقابل استمراره بالحكم، وكانت الضريبة تتألف من 10.000 قطعة ذهبية و10.000 رأسا من الغنم و1000 ثور و1000 كيلة من القمح و14 حصانا و14 عبدا أسودا.

[1] – أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح وتق: الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 454-457.

* – عرف باسم بربروس أي صاحب اللحية الحمراء، دافعوا عن الإسلام في المغرب العربي ضد أعداء الإسلام من الصليبيين الإسبان والبرتغال وفرسان القديس يوحنا، ومنذ عام 1510م، ذاع صيتهم كمدافعين عن المسلمين بالمغرب العربي. للمزيد ينظر: محمد حسن العيدروس: تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الكتاب الجامعي، الكويت، 1998، ص 40.

[2] – سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 457.

كما كان سلطان تلمسان مكلفا بتأمين الأرزاق للعساكر الموجودة بوهران والمرسى الكبير والمناطق المجاورة، وإثر استقرار الأتراك في الشمال الإفريقي حولت تلك الضريبة إليهم لأنهم أصبحوا القوة الفعالة، فبعد تلبية عروج لطلب أهالي تلمسان وانتصاره على أبو حمو فتح عليه أهالي تلمسان الأبواب وأخذوا عليه عهدا بعدم هدم المدينة ونهبها وإلحاق الضرر بها، فأقسم عروج على القرآن الكريم بأنه لن يلحق بهم الضرر.[1]

والجدير بالذكر أن عروج قد أجرى اتفاقا مع بني وطاس حكام فاس ضد الإسبان، وفي نفس الوقت قام الرئيس عروج بإصلاح وترميم جميع أسوار القلعة وأبراجها، وتعزيز نقاط الاستحكام فيها، كما قام بجمع الضرائب من المناطق المجاورة، وبتخزين كميات هائلة من المواد الغذائية، وأمن احتياجاته من المعدات الحربية والبارود، وبما أن أبو حمو قد التجأ أولا إلى قائد وهران الإسباني ماركي دي غومارس الذي زوده بتقرير ليقدمه إلى الملك الإسباني وكتب فيه التقرير الذي يستعرض على المجلس الملكي الإسباني.

فالمصلحة الإسبانية اقتضت ضرورة احتلال تلمسان، أو إقامة حكومة عربية فيها موالية للإسبان، وبقيام هذه الحكومة[2]يتعزز الوجود الإسباني في المنطقة ويتسع نفوذه ليشمل كافة السواحل الإفريقية، وكذا اقتضت هذه المصلحة بطرد الأتراك من تلمسان وربطها بهم.

وقد اقتنع المجلس الملكي الإسباني بما جاء في تقرير "دي غومارس" لذلك قرر إرسال قوة مؤلفة من عشرة آلاف جنديا، بحيث اقترب الإسبان من حلفائه من القلعة، كادوا أن يلتصقوا بها، فاغتنم الأتراك حلول الظلام وشنوا عليهم هجوما عنيفا، تشتت القوات الإسبانية على إثره وتمكنوا من أسر مئة شخص وقتل 700 شخص، في حين فر الباقون باتجاه وهران حاملين معهم أنباء الهزيمة التي حلت بهم.

ذهل ماكي دي غومارس، عندما سمع بما حدث لقواته في قلعة بني راشد، وعلى الفور أرسل قوة أخرى مع أبي حمو تتألف من ألفي جندي أوروبي، كما جهز قوة إضافية من

[1] – عزيز سامح آلتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، تر: محمود، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص ص 60–62.

[2] – نفسه، ص 63.

الأهالي مقابل مبالغ من المال، وأرسلها إلى قلعة بني راشد من أجل محاصرة الأتراك وقطع الإمدادات عنهم.

ومن أجل كسب هذا الحصار، قام الريس إسحاق بشن عدة هجومات خاطفة على القوات الإسبانية، وألحقوا خسائر فادحة، بالمقابل فقدوا عددا كبيرا من الشهداء الأبطال، أمام الأهالي الذين قاتلوا مع الأتراك فقد انسحبوا من القلعة، وبانسحابهم بدأ الخوف يدب في صفوف المقاتلين وبدأت القوات الإسبانية تقصف جدران القلعة بالمدفعية، حيث انتهت بتسليم القلعة، بعد نفوذ جميع ما لديهم من مؤن وأرزاق، واشترطوا لتسليمها أن يخرجوا بأمتعتهم وأسلحتهم إلى تلمسان، وبغية تطبيق الاتفاق طالب الإسبان بتسليم 12 شخصا معهم كرهائن.[1]

حيث يذكر مارمول كربخال في كتابه "إفريقيا" قائلا: "عندما رأى الإسبانيون الذين ذهبوا قصد التسلية إلى معسكر المغاربة أن الأتراك رفعوا رايتهم وهم يرون أنها يجبل أن تطوى أمامهم راية الإمبراطور، أخبروا الكونت بذلك، فأرسل هذا الأخير غداة الغد جنودا ليعترضوا طريقهم ويحطموا رايتهم، فاشتكى الأتراك من ذلك لأنه عنف...".[2]

حيث تمكن أبو حمو الثالث من قتل عروج سنة 1518م، وبدعم من الإسبان بين الوادي المالح وزاوية سيدي موسى، وقطعوا رأسه وطافوا به أنحاء إسبانيا، وعلى الرغم من أن موت عروج شكل خسارة بالنسبة للجزائريين ورجاله، إلا أنه استطاع كما قال المؤرخ الفرنسي "شارل آندري جوليان" أن يبوئ مدينة الجزائر وبلاد البربر مكانة الدولة العظمى.[3]

ومنذ عام 1518م، صار بنو زيان عملاء للإسبان طورا وللأتراك العثمانيين طورا آخرا، إل أن تولى صالح رايس السلطة، فأمر الكتيبة التركية التي كان حاكم تلمسان قد طلبها لحمايته، بطرد آخر بني زيان، مولاي حسن الذي فرّ عندئذ إلى الإسبان في وهران ومات فيها، وفي عام 1555م، دخل حسن بن خير الدين مدينة تلمسان، وفي ذلك كتب

[1] – عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، ص ص 64-65.

[2] – مارمول كربخال: ج2، المصدر السابق، ص 319.

[3] – أسماء بلايلي: التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10هـ-16م-دراسة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2، جامعة غرداية، 2017، ص 52.

الزياني في ترجماته ما يأتي بقوله: "وملكها الترك من يد عبد الله الزياني آخرهم عام 952هـ، دخلها حسن بن خير الدين باشا، قدم لها من الجزائر".[1]

فقد وجد الإخوة بربروس بلاد المغرب عبارة عن فسيفساء من الإمارات والجمهوريات الصغيرة المتناثرة أبرزها إمارة بني مزغنة، إمارة كوكو، وإمارة تنس...، وبالتالي فمن المنطقي أن تتقهقر مكانة تلمسان السياسية وحتى الإدارية في هذا الجو المفعم بالانقسام السياسي، إلا أن الأتراك العثمانيون لم يخططوا لإنعاش المدينة وإعادتها إلى مكانتها المزدهرة السابقة، بل زادت تلمسان في عهدهم تقهقرا في هذا المجال، حينما اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر عاصمة مركزية لهم، واتخذوا بعض مدن وقلاع البايلك الغرب باستثناء تلمسان عواصم للإقليم في فترات معينة، ونقصد بذلك مدينة مازونة، قلعة بني راشد، معسكر، مستغانم ووهران.

لم تعد تلمسان من الناحية السياسية سوى مقرا للقائد التركي بالقطاع الغربي للبايلك، تناظرها بلدة زمورة في القطاع الشرقي للبايلك، كما ظلت طيلة العهد العثماني مهزومة، فقدت زعامتها السياسية ولم تحظ أن تكون عاصمة للبلاد ولإقليمها الغربي، رغم تنقل مقر الباي عبرة عدة مدن لم تكن عواصم في السابق، وبالتالي أصبحت تلمسان تعاني من التذمر.[2]

**المبحث الثاني: الفئة السكانية لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني**

لما عرفت تلمسان بعراقتها وعماراتها وبساطتها وحدائقها، كانت مقصدات للعديد من الأجناس المختلفة، والفئات الاجتماعية المشكلة من الحضر والكراغلة واليهود، فكانت تعتبر سوقا لرواج مختلف البضائع والسلع.

حيث جاء في تقرير المارشال كلوزيل( Clousel )عند دخول مدينة تلمسان سنة 1836 أن عدد سكانها تضمن (3000) و(4000) ساكن من الحضر و (500) عائلة كرغلية و(300) أسرة يهودية.[3]

---

[1] – بن عتو بلبروات: المرجع السابق، ص 75.

[2] – نفسه، ص 76.

[3] – هاشمي آمال: المرجع السابق، ص 05.

وبدخول الاستعمار الفرنسي إلى تلمسان لوحظ وجود أربعة فئات سكانية صنفت كالآتي:

- **الحضـر**: وهم غالبية سكان المدن الدين ضلوا مرتبطين بوسطهم المحلي ومحافظين على تقاليدهم العربية الإسلامية، وهو يتألفون من جماعة البلدية وهي العائلات الأصلية التي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية السابقة تحلق بها جماعة الأشراف والمرابطين وهؤلاء هم الأسر التي قدمت على الغالب من مواطن بعيدة وعرفت بنسبها الشريف.

وظلت هذه الفئة تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس[1]، استقروا بالأحياء الواقعة شمال غرب مدينة تلمسان لقبهم الجغرافيون بالمورس (Maures) وامتهنوا التجارة والفلاحة والحرف (الزرابي والبرنوس)[2]، كما تندرج ضمن جماعة الحضر الأندلسيين وهم مهاجرو الأندلس، الذين ضلوا يتميزون عن غيرهم بنشاطهم الاقتصادي ومعارفهم الثقافية ومهارتهم الفنية التي أوكلت إليهم، ساعدهم في ذلك ارتباطهم بالموظفين الأتراك عن طريق المصاهرة والاشتراك في الأعمال التجارية.

طبع الأندلسيين أساليب العيش وطرق الحياة لسكان المدن بطابعهم الخاص، وكان لهم تأثيرا واضح على لغتهم، فحدوا من تأثير اللهجة البدوية الغالبة، وجعلوا سكان المدن الساحلية وخاصة تلمسان يتمثلون اللغة الغرناطية المتميزة برقة مخارج حروفها ولطافة مفرداتها التي ينطق فيها القاف ألفا.[3]

- **الكراغلـة**: وهم المولودين من آباء أتراك وأمهات مغربيات، عرفوا بأبناء العبيد (قول اوغلي) إذ تجمعهم قرابة العمومة مع الأتراك ويشدهم نسب الخؤولة إلى أهالي البلاد، ولم يتمكن الكراغلة من فرض نفودهم لقلة عددهم في الفترة الأولى

[1] – ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب من القرن العاشر إلى الرابع عشره، من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والثلاثون، جامعة الكويت، 2010، ص 57.

[2] – هاشمي آمال: المرجع السابق، ص 06.

[3] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص 56-57.

من الحكم العثماني[1]، وهم ذات أصول تركية استقروا غرب المدينة وجنوبها، حيث أصبحوا مع نهاية القرن 18 يشكلون نسبة كبيرة من سكان تلمسان والجزائر.[2]

- **اليهود:** ينتمي يهود تلمسان إلى عنصرين متباينين، الأولى عريق بالمنطقة يعود إلى الفترة الفينيقية، أما الثاني ففرّ من مكاتب التفتيش المسيحية من الأراضي التي استرجعها المسيحيون في شبه الجزيرة الإيبيرية، فالصنف الأول نشط في الحرف البسيطة (دباغة، والبرادع، كان الثاني من ذوي الحرف الحرة).[3]

حيث تضاءل عدد اليهود ببلاد المغرب (القرن السادس هجري/الثاني عشر الميلادي)، وأصبحوا في القرن العاشر هجري/السادس عشر الميلادي يشكلون تجمعات مهمة بتلمسان[4]، استقروا قرب حي الكراغلة (شمال غرب قصر المشور، واعتبر حيهم منبوذا لأنهم أعداء للعرب.[5]

## المبحث الثالث: نماذج من عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني

### 1-الاحتلال بالمولد النبوي الشريف

من أهم الأعياد الدينية التي يحتفل بها مولد النبي صلى الله عليه وسلم، فتقام بهذه المناسبة العديد من الاحتفالات والطقوس، سواء بالمنازل أو في المساجد عن طريق إلقاء الخطب تخص سيرته صلى الله عليه وسلم.

ويرجع الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى القاضي سبتة أو العباس أحمد بن القاضي محمود بن أحمد اللخمي المعروف "بالعزفي" الذي كان أول من سن هذا الاحتفال بالمغرب الإسلامي[6]، ويذكر المقري في كتابه "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق، ص 56.

[2] – هاشمي آمال: المرجع السابق، ص 06.

[3] – براهامي ناصر الدين: تلمسان الذاكرة، ط2، منشورات ثالة، الجائر، 2007، ص 111.

[4] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 57.

[5] – هاشمي آمال: المرجع السابق، ص 05.

[6] – موسى شويحات: الطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية للجزائر العثمانية (1519-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018-2019، ص 28.

بقوله: "والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين، وسيدنا مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي آخر الليل بموائد كالهلالات دورا والرياض نورا قد اشتملت من محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس...".

وعلى هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم[1]، فالاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، كان يستمر أياما يتلى فيها القرآن الكريم وتنشد فيه أشعار العديديات "المولديات" وهي قصائد خاصة بهذا اليوم وتلك الليلة، وتنحر الذبائح وتقام الولائم حتى صلاة الفجر.

حيث أشار الرحالة ابن عمار إلى كيفية احتفال أهل تلمسان بمولده صلى الله عليه وسلم، حيث أن حكامها كانوا يقيمون حفلة كبيرة يحضرها العامة من الناس والخاصة، والمكان الذي تقوم فيه الحفلة كان كما وصفه قائلا: "...فما شأت من النمارق والمصفوفة وزرابي مبثوثة، وبسط موشاه ووسائد بالذهب ومغشاه وشمع كالأسطوانات...ومباخر صفر منصوبة بالقباب...".[2]

فكان كل الموجودين يأكلون من الأطعمة المتواجدة بهذا الاحتفال، وكانت الكتاتيب القرآنية تزين وتضاء بالشموع بهذه المناسبة ويجتمع الأولاد للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأ بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشرا من القرآن الكريم، وينظم الشعراء كل سنة بمناسبة مولده عليه السلام قصائد شعرية في مدحه فيجتمعون في الصباح الباكر في ساحة المحتسب ثم يبدأ كل واحد في إنشاء قصيدته أمام جمهور غفير من الناس، ومن تفوق منهم في النظم والإرشاد بويع أميرا للشعراء تلك الليلة، وكانت الصدقة تكثر بهذه المناسبة على الفقراء والمساكين واليتامى.[3]

- **الزواج:** إن مسألة الزواج بتلمسان كانت من صلاحيات الوالد، فهو الذي يقرر زواج ابنته مع الذي يراه مناسبا لها، بدون حتى أن يستأذنها حتى تجد نفسها أمام

[1] – أحمد بن محد المقري التلمسان شهاب الدين: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 1978، ص 245.

[2] – موسى شويحات: المرجع السابق، ص 29.

[3] – الوزان: المصدر السابق، ص 260.

قرار الزواج، وجعل الاختيار من مسؤولية الآباء وذلك لعدم تحكم الأبناء في مستقبلهم، لأن زواجهم كان مبكرا.

كما كانت تعطى للعائلات التلمسانية أولوية في طلب يد الفتاة من المقربين كأبناء العمومة أو الأخوال، فالخطبة كانت تتم بين أهل العريس وأهل العروس، بدون تدخل طرفي الزواج وفق معايير متعارف عليها.

فالخطوبة كانت تتم أساسا على الحسب والنسب والأخلاق، حيث جرت العادة أن والدة الشاب هي التي تقوم بمهمة البحث عن الزوجة المناسبة لابنها دون معارضة الابن للفكرة، وبعد الإعلان الرسمي عن الخطبة يبقى الاتفاق على شروط الزواج كالمهر وموعد الملاك وكان يوم الخطبة اليوم الرسمي للاتفاق على كل شيء ومدة الخطوبة كانت لا تتعدى السنة.[1]

[1] – لبلق أسماء: التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران –2–، 2014–2015، ص ص 136، 155.

# الفصل الثالث

## الواقع الحضاري الثقافي لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني

**المبحث الأول: المساجد والزوايا**

**المبحث الثاني: المدارس والكتاتيب والبيوتات العلمية بتلمسان خلال العهد العثماني**

**المبحث الثالث: العمران بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني**

بعد أن تناولنا في الفصول السابقة، التعريف لمدينة تلمسان جغرافيا وطبيعيا وتاريخا، وبعد أن مررنا على أوضاع هذه المدينة العريقة خلال العهد الزياني ثم دخولها تحت الحكم العثماني، وتطرقنا إلى أهم المقومات الحضارية لهذه المدينة، دون أن ننسى العادات والتقاليد التي ميزت مدينة تلمسان بكل أطيافها الاجتماعية التي ذكرناها سابقا,سنتطرق إلى الواقع الحضاري الثقافي لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني.

**المبحث الأول: المساجد والزوايا**

تشكل المساجد والزوايا أهم المؤسسات الدينية العلمية، الثقافية والحضارية، لما لها من دور كبير عبر مختلف المراحل التاريخية للمدينة، وقبل أن نبدأ في دور الزوايا والمساجد، ارتأينا أن نعرف أولا بمفهوم المساجد والزوايا.

**أ-المسجد لغة:**

مُفْعل بالكسر، اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر، أما شرعا، فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم «جعلت الارض لي مسجدا ».[1]

حيث تعددت تسميات المساجد كثيرا خلال العهد العثماني، فمنها ما سمي باسم مؤسسه، ومنها ما أطلق عليه اسم الوكيل المشرف عليها، وأحيانا كانت تسمى باسم الوالي الصالح الذي دفن بقربها، وأحيانا كانت تعرف باسم الحي السكني الذي تقع فيه.

فمساجد تلمسان كانت ذات زخرفة أنيقة، حيث عبرت عن تفوق الزيانيين عن العثمانيين في ميدان الفن المعماري[2]، فتميزت تلمسان بكثرة مساجدها وبلغ عدد مساجد تلمسان أواخر العهد العثماني 50 مسجدا، أغلبها صغيرة، بالمقابل هناك من يقدم إحصاء آخر للمساجد التي تواجدت خلال فترة عثمانية بتلمسان إلى 60 مسجدا (المسجد الكبير، مسجد سيدي بومدين، مسجد محمد السنوسي، مسجد ابن زكري، وكذا مسجد أولاد الإمام)[3]، ونتطرق إلى ثلاثة منها:

---

[1] – محمد بن عبد الله الزركشي: إعلام المساجد بأحكام المساجد، ط4، تح: أبو الوفا مصطفى المراني، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1996، ص 26.

[2] – مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني "من خلال مخطوط ديفوليكس والوثائق العثمانية"، د.ط، تر، وتع: مصطفى بن حموش، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 20.

[3] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 145.

**-المسجد الكبير:**

يقع في قلب مدينة تلمسان غرب قلعة المشور، قد أسس على أرض منبسطة وشبه مائلة عام 530هـ/1136م بأمر من الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، وأشرف على بنائه القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي وتم الانتهاء من بناءه، في شهر جمادي الثانية عام 530هـ/مارس-أفريل 1136م، وتبلغ مساحته الإجمالية التي أقيم عليها حاليا 83.816.624م، وهو عبارة عن مجمع ضخم في الحقيقة ويتكون من المرافق التالية أهمها:

أ- **قاعة للصلاة:** مستطيلة الشكل تحتوي على قبة صغيرة جميلة الشكل، طرزت بنفوش بديعة، رسمت بها آيات قرآنية.

ب- **منارة المسجد:** مثمنة الأضلاع على ارتفاع 35م، بناها الأمير الزياني ياغمراسن في منتصف القرن 7هـ/13م، جميلة الشكل والطراز والنقوش.

ج- **ساحة متوسطة المساحة:** إضافة إلى باب الخارج خصص لدخول النساء أيام الجمع والأعياد.

د- **المراحيض وأماكن الوضوء:** وجدت على الزاوية الغربية للمسجد.

هـ- **ولهذا المسجد تسعة مداخل:** أربعة أمامية شرقية، وثلاثة سارية شمالية وواحد خلفي غربي وآخر يميني جنوبي، وهذه المداخل بعضها أساسي مفتوح باستمرار وبعض ثانوي لا يفتح إلا أيام الجمع والأعياد.[1]

حيث تصدى للتدريس في هذه المساجد الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والمشرعين واللغويين، من ضمنهم الشيخ عبد السلام التونسي وإبراهيم الأبلي وابن خلدون والسنوسي والمغيلي، وأدى دوره المطلوب منه دينيا وثقافيا واجتماعيا في الأزمة الماضية، وأضفى على تلمسان مسحة إسلامية أصيلة ومكانة في التاريخ ومركز للثقافة والعلوم، وقاوم عواصف الزمن وظروف الدهر.

[1] - يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص ص 111، 113.

فبالرغم من بساطته كبساطة مؤسسيه المرابطين، إلا أنه جامعة إسلامية كبرى شارك في نهضة تلمسان أيام عزه في عهد المرابطين والموحدين وبني زيان والأتراك العثمانيين، وقاوم الفرنسية والتمسيح والتنصير والإدماج أيام الاحتلال الفرنسي، وكون أجيالا من العلماء والفقهاء والقضاة والمفاتي والأئمة والمؤرخين والمحدثين والوعاظ والخطباء، والأدباء واستقبل واحتضن أجيال من عظماء الرجال على اختلاف درجاتهم وقيمهم وأصولهم ومراكزهم الاجتماعية.[1]

**-مسجد المشور:**

يقع مسجد المشور داخل قلعة المشور التي أسسها المرابطون على عهد يوسف بن تاشفين، وليس هناك تاريخ محدد لإنشاء هذا المسجد، ولكمن يبدو أنه أسس بعد بناء القلعة بمدة، ويقال أن تاريخ بناءه هو عام 17هـ/1124م)، حيث أسس هذا المسجد على أرض مستوية شرق المسجد الكبير بحوالي (500م)، بحيث شارك مسجد المشور في نهضة مدينة تلمسان الثقافية والحضارية بشكل بارز، واستقبل عدد كبير من العلماء الأجلاء الذين درسوا فيه ورابطوا للوعظ والإرشاد، وتخرج على أيديهم أجيال من طلبة العلم والفقهاء خاصة، وأنه يقع بجوار قصر السلطان الذي كان يقرب إليه هؤلاء العلماء كمستشارين ومعلمين ودارسين، وبكل تأكيد ورد عليه الخلدونيان وخاصة يحي، المرارقة، والعقبانيون والزكريون السنوسيون وأمثالهم من علماء تلمسان.

وبعد غزو الفرنسيين تلمسان استولوا على قلعة المشور وتمركزوا بها واستولوا على المسجد، وحول إلى كنيسة ثم إلى مخزن للمستشفى العسكري وهي ما دأبت عليه السلطان الفرنسية ليس في إقليم الغرب أو تلمسان فقط، بل في كامل ربوع الجزائر إلى أن تحررت وحرر مسجد المشور وأعيد لأداء رسالته الدينية الإسلامية التي أسس لها.[2]

وعبر مراحل مختلفة اتصفت مدينة تلمسان بنخبتها المثقفة من القضاة والمثقفون، حيث ساهمت هذه الفئة المثقفة في تسيير شؤون المدينة إضافة إلى الأساتذة والطلاب.[3]

---

[1] – يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 115.

[2] – نفسه: ص 119.

[3] – الواليش فتيحة: المرجع السابق، ص 160.

**-مسجد سيدي زكري:**

أبي العباس أحمد بن محمد بن زكري من المرابطين ومن العلماء المتميزين بتلمسان، عاصر السنوسي[1]، وتوفي عام 900هـ/1494م، وسمي هذا المسجد باسمه، إن هذا المسجد محاط بالمباني والمساكن من كل الجهات الثلاثة الجنوبية والغربية والشمالية، وليس له منفذ إلا من الشرق، حيث يطل على ساحة متوسطة مربعة محاطة كذلك بمنازل السكان، ولا يعمر هذا المسجد إلا العنصر النسوي خاصة في شهر رمضان، ولهذا زود بعدد كبير من الوسائد والمناشف التي رصفت على مرافق مثبتة على جدرانه.[2]

**ب-الزوايا:**

شكلت الزوايا* إحدى المؤسسات الثقافية والاجتماعية والدينية الهامة، وكانت تابعة للطرق الصوفية، وكان عددها في الغرب الجزائري أكثر انتشارا من المناطق الأخرى، وذلك راجع إلى استمرار الجهاد في الغرب، إضافة إلى القرب من المغرب الأقصى معهد الزوايا والمرابطين.

حيث شكلت الزوايا مقر قيادة وتربية وتعليم كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القرآن والكتابة، إضافة إلى كونها مقر نزول أبناء السبيل من مأوى ومأكل، فلعبتن هذه الأخيرة دورا هاما في المجال الاجتماعي من خلال التوسط لقضايا قضائية بين السكان، وكان يشرف على الزاوية شيخ هو الذي يتولى التعليم بها أو الإشراف على أساتذتها، وكان يساعده في إدارتها وكيل وعدد من المتطوعين، أما مواردها المالية فكانت من مداخل وغلات الأوقاف التي كانت تتبعها، إضافة إلى الزكاة والهدايا والتبرعات.[3]

---

[1] – Revue Africaine : N°27, Mai 1864, p 161.

[2] – يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 159.

* – الزوايا: أطلقت اصطلاحا على كل مسجد صغير فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه، وأطلق أيضا للدلالة على مكان تجمع الصوفية الذين يقومون فيه أفكارهم. للمزيد أنظر: حسن حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999، ص 105.

[3] – عبد الرحمن بن الأعرج: الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني (دورية كان التاريخية)، السنة العاشرة، العدد 36، جامعة تلمسان، 2017، ص 58.

واشتهرت تلمسان خلال العهد العثماني بالعديد من الزوايا نذكر منها: زاوية سيدي الذيب، زاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي وزاوية أحمد الغماري وزاوية عين الحوت، ضمنت حوالي 30 زاوية، حيث وضعت الزوايا نظاما ولوائح لطلابها نذكر منها: أنه كان لها سجل يسجل فيه أسماء طلاب الزاوية، وأن الخدمة اليومية داخل الزوايا يقوم بها الطلاب بالتناوب، فكانت الزاوية تعد وجبتين من الطعام في الغداء والعشاء، وكانت تحرص على ضرورة المحافظة على مواعيد الدروس وحضور الاجتماع الأسبوعي، كما تكلفت الزوايا بتحديد العقوبات لكل نوع من أنواع الحوادث والمخالفات، وكان طلبة الزوايا يقومون بعي ماشية الزاوية، وخدمة الأرض الموقوفة عليها، إضافة إلى ذلك قيامهم بجمع الأموال للزاوية من القبائل.

فهذا النظام الداخلي للزوايا كان الهدف منه إضافة إلى التنظيم والتربية وتهذيب الأخلاق وغرس الفضائل وتدريب الطلاب على الحياة العملية.

ومثالا على ذلك نجد زاوية سيدي بومدين كانت تهتم بالتعليم واستقبال الطلبة الوافدين، وكان لها عدة أوقاف، وزاوية عين الحوت شمال مدينة تلمسان، اشتهرت كونها مهد السليمانيين أبناء عمومة من الأدارسة وهم من أشراف العلويين، فوجود هذه الزوايا رغبة منهم في دعم سلطاتهم.[1]

**المبحث الثاني: المدارس والكتاتيب والبيوتات العلمية بتلمسان خلال العهد العثماني**

**أ-المدارس:**

قبل مجيء العثمانيين كانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، حيث اشتهرت هذه الأخيرة بوفرة المدارس والعلماء، رغم تدهور وضعها السياسي، إضافة إلى المدارس الابتدائية الموجودة بها وجدت خمس مدارس ثانوية وعالية، وهذه المدارس هي التي أشاد بها الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل والكاتب المغربي حسن الوزان، فقد أشار الوزان على الخصوص بعناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها.

[1] – عبد الرحمن بن الأعرج: المرجع السابق، ص 58.

والمعروف أن زيارة الوزان لتلمسان كانت عشية استقرار العثمانيين بالجزائر، حيث وجد الفرنسيين بعد احتلالهم لتلمسان خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي، وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، والمعروف أن للباي محمد الكبير هو الذي أعاد لمدرستي تلمسان أوقافها وجددهما.[1]

واللافت للنظر، هو وجود مدارس خاصة بالجالية اليهودية المقيمة بالمدينة، حيث شكلت تلمسان أكبر منطقة لتجمع اليهود في الحواضر الجزائرية في العهد العثماني، وكان التعليم ينقسم إلى مرحلتين:

الأولى هي مرحلة القراءة والثانية مرحلة الكتابة والحساب، وكانوا يكتبون التوراة وتاريخهم باللغة العبرية التي كانت منتشرة بينهم، كما أن الأسرة اليهودية كانت ترسل أبناءها إلى الدول الأوروبية لتعلم بقية العلوم[2]، فالأمية كانت تقريبا منعدمة بالجزائر، وأن سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا، فأغلبهم كانوا يتقنون القراءة والحساب، وقد أكد هذه الفكرة "والسان إيسرهازي" الذي يرى أن نسبة الأمية بالجزائر سنة 1830 أقل منها في فرنسا.[3]

أما التعليم عامة كان يمر بثلاث مراحل:

**1-المرحلة الابتدائية:**

فيها التلميذ يحفظ القرآن تحت إشراف المعلمين في الكتاتيب ويدفع أجورهم الأهالي.

**2-المرحلة الثانوية:**

وتتم في المساجد وفيها يتعلم الطالب مبادئ الفقه والنحو والصرف والحساب.

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 274.

[2] – عبد الرحمن بن الأعرج: المرجع السابق، ص 58.

[3] – مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، د.ط، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت، 1964، ص 317.

**3-المرحلة العالية:**

تكون في المساجد الكبيرة أو الجامعات العربية مثل: جامع الأزهر، جامع الزيتونة، ولا يدخلها إلا المتفوقين من الطلبة.[1]

ويذكر حمدان بن خوجة في كتابه "المرآة" أن الجزائريون اعتنوا بالعلوم والآداب، ففيهم الشعراء والأدباء وأساتذة التاريخ والمشرعون.[2]

ويمكننا القول أن الظروف التاريخية لعبت دورا كبيرا في وفرة المدارس وأهميتها في مدينة تلمسان التي ورثت ذلك عن العهد الزياني.

**ب-الكتاتيب:**

كان لها هي الأخرى دور لا يقل أهمية عن الزوايا، لأن الحكم على النشاط الثقافي لأي بلد يكون من خلال المكتبات والكتب المتوفرة به، فإن الجزائر خلال الحكم العثماني كانت في طليعة البلدان كثيرة الكتب والمكتبات، وقد شهد على وفرة المكتبات فيها حتى خصوم العثمانيين كالفرنسيين الذين حكموا بأن العثمانيين لم يقدموا أي عمل لتنشيط الحياة الروحية والفكرية في الجزائر، وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج ولا سيما الأندلس ومصر وإسطنبول والحجاز، وكان هناك رصيد من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، فتلمسان كانت عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية.[3]

حيث خصصت الكتاتيب لاستظهار كتاب الله العزيز، وهي تعتبر أول محل يلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين والمساجد التي لا تقام فيها الصلواة الخمس.

وكما ذكرنا أن تلمسان من بين المدن الرئيسية التي كانت تتوفر بها المكتبات الخاصة والعامة، وهي التي كانت تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما

[1] – محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 48.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تق: محمد العربي الزبيري، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2006، ص 67.

[3] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 285.

كان يرتادها الطلبة من جميع النواحي للمطالعة فيما، ولا سيما المكتبات العامة التي كانت وقفا وحبسا على المساجد والزوايا والمدارس[1]، يقال لهم سارسة، ومنها إلى الحصون تسمى برحلس... .[2]

ومن أبرز علماء بيت المقري نذكر:

**-أبو عثمان سعيد المقري:**

ولد سنة 928هـ/1522م، عالما من علماء تلمسان ومفتيا بها مدة عامين وخطيبا لمسجدها الأعظم مدة 45 سنة، وعم صاحب "نفح الطيب" ولد بتلمسان وعاش ونشأ بها، أخذ عن والده وعبد الواحد الونشريسي، كما أخذ عن ابن أخيه صاحب "النفح" وابن مريم صاحب "البستان"، وابن القاضي صاحب "درة الحجال"[3]، ويصفه ابن مريم بقوله: "...وقرأت عليه جميع صحيح مسلم...سمعت عليه بعرض البخاري والموطأ كذلك...وسمعت عليه أكثر من ختمه قراءة بحث وفقه ونقل وفروع والأحاديث والأحكام...".[4]

بالرغم من هذا كله، فإن السعيد المقري وإن لم يترك تآليف معروفة لنا اليوم، فإنه قد تخرج على يده مجموعة من التلاميذ الذين ألفوا العديد من الكتب وأصبحوا مثله من المدرسين البارزين، ومن هؤلاء نجد: ابن أخيه أحمد المقري، سعيد قدورة وعيسى البطيوي، الذي هو ابن خالة سعيد المقري، وكانت البطيوي الأخير من أهل التصوف توفي بالمدينة المنورة، بحيث اشتهرت مكتبات تلمسان بما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات، وكانت المكتبة تقع بمحاذاة المسجد والمدرسة.

كما شكلت المراكز الثقافية أي تلمسان ومازونة وندورمة، وفيما بعد مستغانم مراكز إشعاع حضاري وثقافي، حيث ضمت أكثر من 20 مكتبة، إضافة إلى مكتبة الهامة التي

---

[1] – محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص ص 58-61.

[2] – اليعقوبي: البلدان، د.ط، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص 191.

[3] – عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 211.

[4] – ابن مريم الشريف: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د.ط، مر: محمد ابن أبي شنب، طبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 192.

أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة الموحدية بمدينة معسكر، واشتهرت مكتبة مازونة بمخطوطاتها.[1]

**ج-البيوتات العلمية:**

ساهم الوضع الثقافي لمدينة تلمسان في نهضة التعليم العلمي والديني، وظهور ما يعرف بالبيوتات العلمية في هذه المدينة، من بين أهم هذه البيوتات:

**1-بيت المقري:**

يعتبر هذا البيت من البيوتات العلمية التي اشتهرت بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، حيث وردت العديد من الآراء حول تسميتهم، فمنهم من يرد أنها قرية من قرى الزاب بإفريقيا، حيث ورد اسمها على روايتين، الأولى بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة "مقرة"، والثانية بفتح الميح وسكون القاف[2]، وذكرها اليعقوبي في كتابه "البلدان"، بحيث يقول: "ومدينة يقال لها مقرة، لها حصون كثيرة والمدينة العظمى مقرة أهلها قوم منم بني ضبة، وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر".

ومن تلاميذ سعيد المقري أيضا نذكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن حلال المغراوي التلمساني، وهكذا أخرج سعيد المقري خلال الفترة الطويلة التي بقيها في التدريس مجموعة من التلاميذ الذين أصبحوا بدورهم أساتذة ومؤلفين ومتصوفين وموظفين[3]، ويذكره صاحب البسان أنه كان حيا سنة 1011م إحدى عشر وألف رحمه الله ورضي عنه.[4]

**أ-الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري:**

ولد أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري، الملقب بشهاب الدين عام (986هـ-1577م) بتلمسان وذلك بالاعتماد على رواية

[1] – الواليش فتيحة: المرجع السابق، ص 170.

[2] – أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، 2000، ص 420.

[3] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 379.

[4] – ابن مريم الشريف: المصدر السابق، ص 105.

عبد الوهاب بن منصور، محقق كتاب "روض الآس" أخذ على عمه أبي سعيد المقري صحيح البخاري، ودرس على علماء آخرين ذوي شهرة ومكانة.[1]

فكان مشيدا بعمه بقول: "عمنا مفتيها سيدي سعيد بن أحمد المقري شكر الله خلاله، فهو شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عبر تلاله وعمرو ربوع المجد وتفيئوا ضلاله، وأرشدوا إلى سبيل الهدى وأزاحوا عن ضلاله، وعمرت أرضهم بكل مجد وجلاله...فآها على ذلك العصر ما أبهاه وأجمله وأتمه وأكمله عصر يكاد يكلمنا فيه الجماد وترويا الثماد...".[2]

بحيث حضر أبو العباس أحمد بن محمد المقري مجلس على بن عمران السملالي في جامع القرويين، وناقشه في بعض مسائل الفقه الإسلامي، فاعترف له السملالي بالتفوق عليه، وأقر له بقوة الحجة والبرهان والنباهة.

ثم انتقل إلى مراكش وعلم السلطان المنصور السعدي بقدومه فاستدعاه وقربه إليه وأكرمه وربطت بينه وبين علماء المدينة علاقات ودية وعلمية، وفي منتصف سنة (1010هـ/1601م)، عاد إلى فاس ثم غادرها بعد بضعة أشهر إلى مسقط رأسه بتلمسان، وفي أوائل سنة (1013هـ/1604م) عاد إلى فاس قانية، فأسندت إليه سنة 1022هـ خطبة الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، وبقي بها نحو خمسة سنوات أي حتى 1027هـ، التي قد تكون من أزهى سنوات أحمد المقري عطاء وخدمة للعلم وأهله.[3]

**2-بيت العقباني:**

اختلفت هذه المصادر في تسمية هذه الأخيرة العقباني، فهناك من يرى أنها قرية من القرى بالأندلس، حيث يقول التنبكتي في هذا الصدد في كتابه "نيل الابتهاج" العقباني نسبة

[1] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص 166.

[2] – المقري: المصدر السابق، ص 10.

[3] – عبد الرحمن بن الأعرج: المرجع السابق، ص 60.

إلى العقبان قرية بالأندلس[1]، ويرى القلقشندي في كتابه "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" بقوله: "بنو عقبة بطن من جذم من القحطانية، فال الحمداني بن مجربة بن حرام".[2]

فالبيت العقباني من بين البيوت التي انتقلت إلى المغرب الأوسط بعد سقوط الموحدين "معركة العقاب" وتوالي الهجرة الأندلسية تجاه المغرب بصفة خاصة، ومن أبرز علماء البيت العقباني نذكر:

**-الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم بن سعيد العقابي:**

هو من أبرز الطلاب الذين انتقلوا من تلمسان إلى مدينة فاس، واشتغل أبو العباس في مجال التدريس، حيث يذكر صاحب كتاب "دوحة الناشر"بقوله" ومنهم الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني، كله له صحة مباركة من الفقه...وتوفي في أواخر العشرة الثامنة بفاس وسلسلة سلفه سلسلة العلم والفضل"[3]، أي توفي سنة 980هـ/1571م.

**-سعيد بن محمد العقباني:**

هو من أبرز علماء بين العقباني خلال القرن 11هـ/17م، فكان خطيبا وقاضيا بمدينة تلمسان خلال القرن الحادي عشر، فوضع شرحا خصصه للإرث ونحوه، وقد قسم الكتاب إلى أبواب تناول فيها الولاء والإقرار والوصايا والمناسخة...الخ، وشرح الألفاظ لغة واصطلاحا، كما كان قام كذلك بذكر الأحكام وطرق التوصل إلى التركات[4]، فهذه الأسرة العلمية اشتغلت بالعلم والثقافة على غرار الأسر العلمية التي برزت خلال القرن (8هـ/14م)، ونبع منها علماء فضلاء، خاصة في ميدان القضاء والتشريع الإسلامي، كما كان لهم تأثير بالغ في الحياة الفكرية والدينية والأدبية واللغوية، سواء بمدينة تلمسان أو باقي أصقاع المغرب الإسلامي والأندلس، تولوا مناصب القضاء بتلمسان وفاس وبجاية ومراكش وغيرها.[5]

---

[1] – أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 190.

[2] – أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، ج1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، لبنان، 1980، ص 137.

[3] – محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوي: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط2، تح: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1575، ص 123.

[4] – أبو القاسم سعد :ج2, المرجع السابق، ص 86.

[5] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، المرجع السابق، ص 71.

**ج-علماء بيت الحاج المناوي اليبدري:**

حيث برز عن هذا البيت العديد من العلماء الذين ساهموا في إنعاش الحركة العلمية والثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، ومن أبرز هؤلاء الأبناء نذكر:

**-محمد بن محمد بن سعيد المناوي:**

من بين العلماء الذين ذاع صيتهم بمدينة تلمسان خلال القرن 16م، اشتغل بمهنة التدريس، وتخرج على يده العديد من الطلاب، بحيث يذكره ابن مريم في كتابه "البستان" بقول: "ولد صاحب الترجمة المتقدمة الفقيه العالم النبيه الحافظ الأعرف بحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي ورسالة ابن أبي زيد وألفين ابن مالك والتلمسانية وعقائد السنوسي والحساب والفرائض، كان متبعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوالا بالحق فض غليظا على كل مبتدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، أخذ عنه ولده محمد الصغير وولد أخيه محمد أمقران ابن أبي عبد الله بن الحاج ولم يتحقق عندي وقت وفاته".[1]

**-حدو بن الحاج بن سعيد المناوي:**

فهو من كبار علماء تلمسان وصوفيتها المعروفين حدو بن محمد بن السعيد المناوي كان "فقيها وعالما وأستاذا في القراءات السبع، يحفظ الشاطبتين الكبرى والصغرى، عارف بأحكام القرآن والعربية والرسالة ومختصر ابن الحاجب وألفية ابن مالك، أخذ عن والده محمد بن سعيد الحاج، وعن علي بن يحي السلكسيني ومحمد بن يحي المديوني أبي السادات الكبير وعن والده أبي السادات الصغير، وله الكثير من المنظومات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلمن، توفي سنة (998هـ/1583م)، ودفن بروضة سيدي أحمد بن الحاج في بني إسماعيل في جبل يبدر بتلمسان.[2]

**-محمد بن أبي عبد الله بن الحاج:**

هو محمد بن أبي عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي أصلا، المعروف بـ"أمقران" كان واليا صالحا، وأخذ عن عمه محمد بن محمد بن سعيد، وذكره صاحب البستان بقوله:

---

[1] – ابن مريم الشريف: المصدر السابق، ص 267.

[2] – عبد المؤمن القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص 135.

"الفقيه الإمام الخطيب المعروف بأمقران الوالي الصالح العارف بالله المتصوف أخذ عن الشيخ سيدي علي بن يحي السلكسيني الرسالة ومختصر ابن الحاجب...وأخذ عن الشيخ سيدي محمد بن يحي المديوني مختصر ابن الحاجب الفرعي والرسالة والتوحيد وعقائد السنوسي، وقرأ على جده الحاج بن سعيد القرآن والعربية والحساب، توفي سنة 1009هـ رحمه الله".[1]

**المبحث الثالث: العمران بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني**

لم تتجسد المظاهر الحضارية لمدينة تلمسان في المؤسسات الدينية والعلمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب، وما ظهر من بيوتات علمية بل هناك مظهرا آخر للجانب الحضاري لهذه المدينة، والمتمثل في العمران.

استطاعت المدينة من خلال مختلف مراحلها التاريخية الطويلة أن تستفيد من نماذج معمارية، فكان لها نسيج عمراني جعلها تنفرد به عن غيرها من المدن المغربية والأندلسية.[2]

وهذه مظاهر تبرز الهيكل العام حتى نهاية الحكم العثماني، تربعت تلمسان بقدر ثلاثة وأربعين هكتارا، وقارب عدد سكانها مائة ألف نسمة.

إن النهضة العمرانية للمدينة، بحيث لها ثلاثة أحياء رئيسية للمدينة، وهي:

**1-الحي المركزي:**

ويتألف من المسجد الكبير شمالا، والمشور جنوبا، والمدرسة التاشفينية ومقر القضاء شرقا، ومسجدا في الحسن والمدرسة اليعقوبية غربا، وكانت هذه العمائر تحيط أول الأمكر بساحة القوافل التي تحولت في أواسط القرن الخامس إلى حي اليهود، وهذا الحي يعد مركزا للقرارات السياسية والفقهية، وكذلك الثقافية والاقتصادية.[3]

**2-النشاطات التجارية والحرفية:**

إذ توجد بها الفنادق والنقابات الحرفية المختلفة، يظهر الحي المركزي على هيئة مستطيل، تحيط به المؤسسات الرسمية، فإن الحي التجاري الحرفي صم على أساس تسيج

[1] – ابن مريم الشريف: المصدر السابق، ص 284.

[2] – Saida Benchikh –Boulanouar : op.cit, pp 135-136.

[3] – براهامي نصر الدين: المرجع السابق، ص 123.

متشعب الدروب، يمكن مصادفة بعض السكنات بأماكن معينة، والشوارع هي ضيقة تحف بها الدكاكين لعرض البضائع وكذلك حوانيت للإنتاج الحرفي.

أما البنايات فبها طابق علوي تحته "مصريات" والتي هي حوانيت مخصصة لعض الحرف التي لا يرغب أصحبها في إفشاء أسرار مهنتهم.

وتتخلل هذا الحي ساحات مثل: الموقف وهو المكان المعلوم للباحثين عن عمل والحمالين، وسوق الغزل الذي هو سوق تبيع فيه النسوة الأصواف المهيأة للنسيج والخيوط ومنتجاتهم من الزرابي... .

**3-الحي السكني:**

وهو ما يحيط بالمدينة، وهو يشكل الدائرة الكبرى وبداخله دائرة ثانية مخصصة للنشاط الحرفي المسموح به داخل المدينة، وللوصول إلى أي حي سكني لا بد من أن تعبر الساحات العمومية، والتي هي مخصصة للتعامل المباشر مع الأحياء السكنية مثل: السويقة وساحة المدرس وسوق الفحم... .[1]

والداخل للمدينة عبر بوابتها لا بد أن يمر حتما بالأحياء السكنية في مرات معدة لتوجيه المارين نحو الأحياء الأخرى.

وعلى مستوى الحارات الداخلية المتصلة بالدروب السكنية، وضعت بها زخارف بطريقة هندسية جذابة، والداخل للدروب الأساسية يعترضه قوس لا وجود للدكاكين بعده، يدل على وجود حي خاص سكني.

وما يشد انتباه الناظر النسيج العمراني القديم، وكذلك وضعية أبواب المنازل، حيث جاءت هذه الأبواب مرتبة وعلى شكل مثلثات حتى ينتهي الدرب، وهو أساس العمران المدني.[2]

وصفوة القول فإن مدينة تلمسان بمجموع مساجدها وزواياها وكتاتيبها وبيوتاتها العلمية، شكلت مركز إشعاع حضاري لم تقل أهميته عن باقي المدن الأخرى مثل العاصمة وبجاية، وكان لموقع المدينة على الساحل الغربي للجزائر ولظروفها التاريخية وتركيبتها

[1] – براهامي نصر الدين: المرجع السابق، ص ص 124-125.

[2] – نفسه، ص 125.

السكانية دور كبير في الجانب الحضاري لتشكل إحدى أهم المراكز الحضارية للجزائر العثمانية، ولا تزال تحتفظ بالكثير من هذه المراكز إلى يومنا هذا.

# الخاتمة

**الخاتمة:**

من خلال دراستنا لموضوع الجوانب الحضارية لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، تمكنا من رصد النتائج التالية:

- أن موقع مدينة تلمسان بالغرب الجزائري وقربها من الساحل المتوسط وأيضا مجاورتها للمغرب الأقصى، جعل المدينة تتأثر بأحوال المغرب الأقصى وأسلبا وإيجابا، كما أن الأندلسيين قد جعلوا من المدينة أهم المراكز التي استقروا بها.
- أن الظروف التاريخية التي مرت بها مدينة تلمسان كان لها دور كبير وواضح على الجانب الحضاري للمدينة.
- رغم عدم اهتمام العثمانيين بالجانب الثقافي والحضارية، إلا أن ذلك لم يؤثر كثيرا على الواقع الحضاري والثقافي للمدينة التي وظفت رصيدها وتراثها التاريخي السابق للفترة العثمانية.
- التأثير الجلي والواضح للجالية الأندلسية واللاجئين الأندلسيين، الذين أثروا بالمدينة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحضارية، ولا نبالغ إن قلنا إن هؤلاء قد احتكروا الكثير من الحرف والصناعات بشكل يكاد يكون جليا.
- تحتفظ المدينة بتراث ثقافي وعمراني مازال قائما إلى اليوم يؤرخ لفترة زاهية عرفتها المدينة، وهذا التراث هو الذي توظفه اليوم المدينة لتصبح بحق عاصمة للثقافة العربية الإسلامية.
- جسدت تلمسان كغيرها من المدن الجزائرية الدور الكبير الذي أدته الزوايا والمساجد في الجانب العلمي والثقافي من نشر التعليم ومحاربة الأمية دون أن ننسى دورها الاجتماعي في إشاعة روح التكافل والتعاون والتكفل بالمحتاجين والفقراء، وبقيت المساجد والزوايا على دورها فترة الاحتلال لتتحول إلى قلاع حصينة ضد محاولات الإدماج والتمسيح.

- كان للواقع الثقافي والحضاري المزدهر بتلمسان دور في ظهور نخبة من العلماء إما تخرجوا من مؤسساتها أو مروا بهذه المؤسسات، وعلى سبيل المثال لا الحصر أن العلامة ابن خلدون وشقيقه يحي قد كانوا يوما من مريدي هذه المؤسسات، إضافة إلى أعلام آخرين في مختلف العلوم والتخصصات مثل المقري.

# الملاحق

الملحق رقم (01): صحن ومئذنة الجامع الكبير[1]

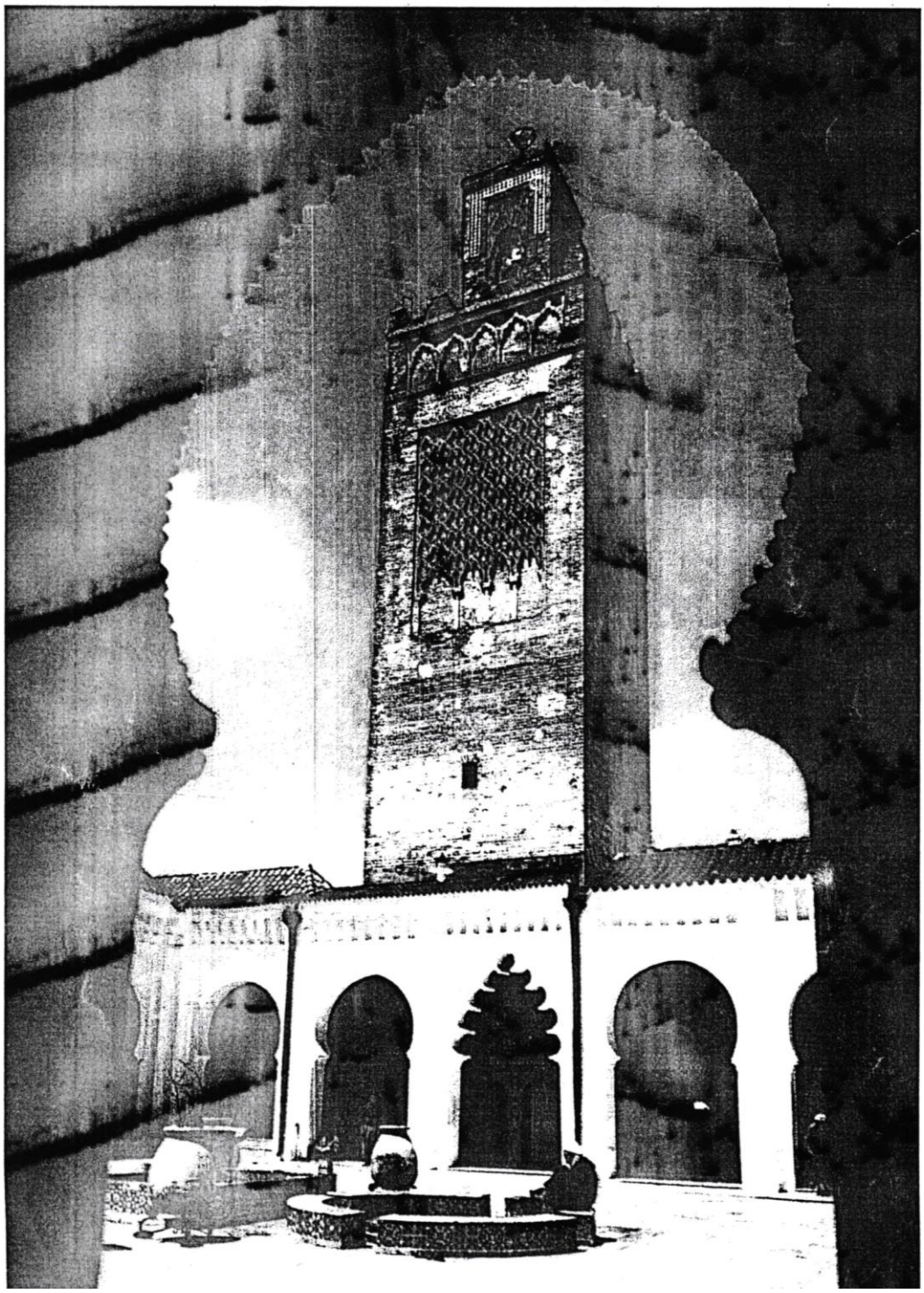

[1] – ناصر الدين براهمي: المرجع السابق,157.

الملحق رقم (02): تصميم مسجد سيدي الحلوي[1]

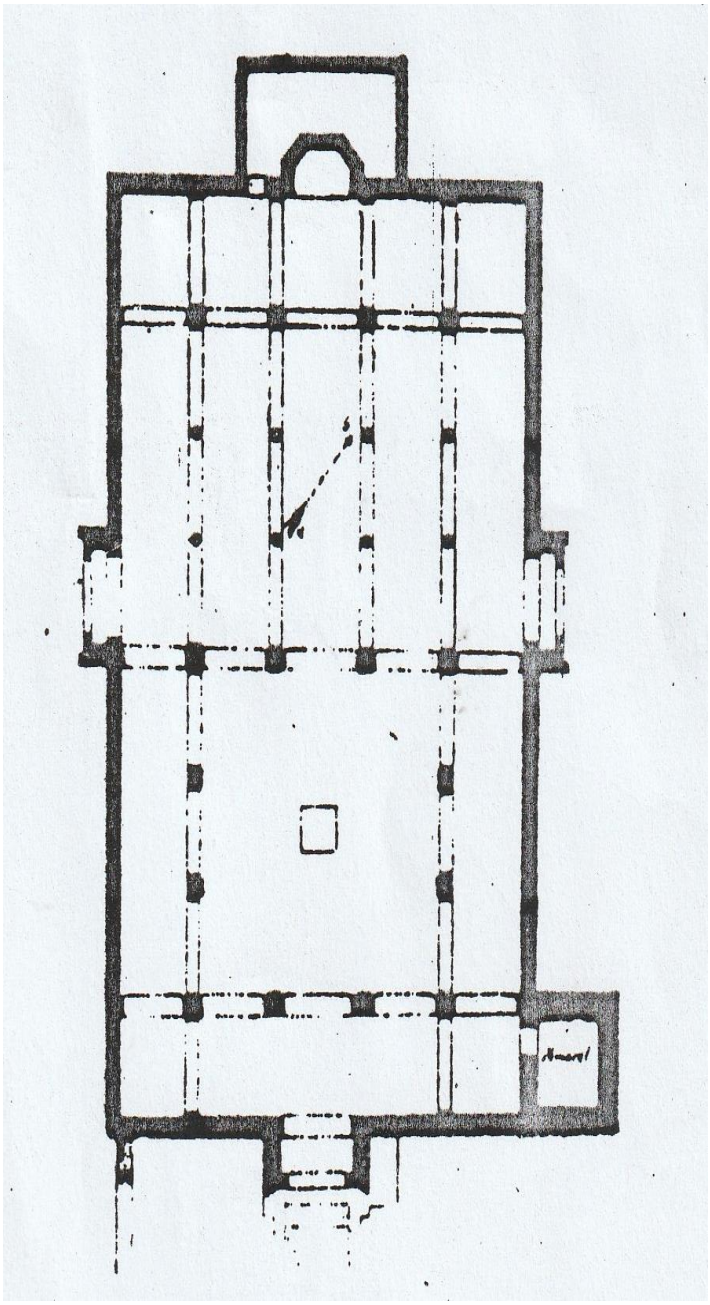

[1] – محمد الطيب عقاب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 95.

الملحق رقم (03): تصميم مسجد سيدي أبي مدين[1]

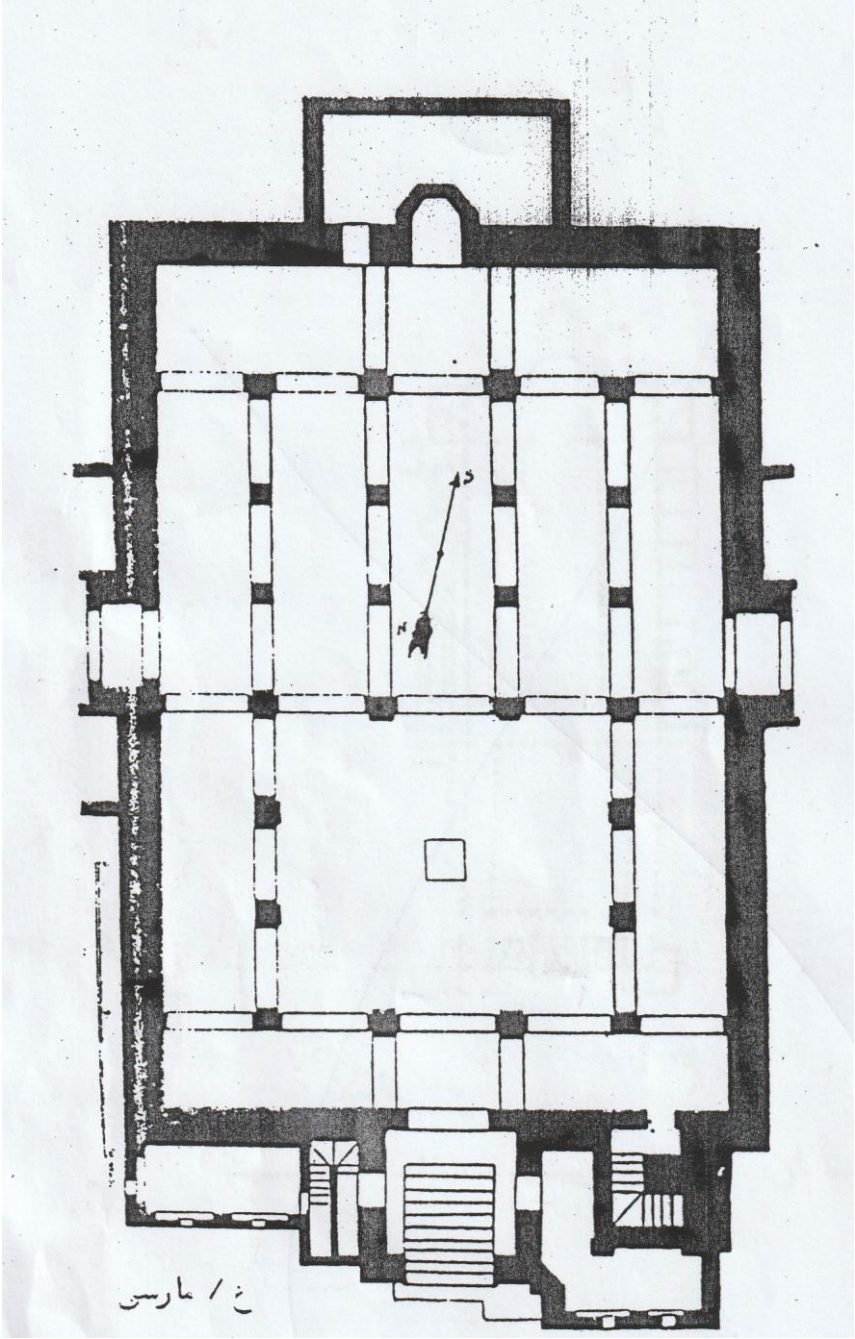

[1] – محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص 97.

# قـائمة

# المصـادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

**أولا: المصادر**


1. ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، دم،2001م.
2. التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان –مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان–، دط، تح وتع: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر،2011م.
3. التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، 2000م.
4. الحميري محمد بن عبد المؤمن: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.
5. ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، دط، مج1، مطبعة بيير فونطانا الشرفية، الجزائر، 1903م.
6. ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دط، ج7، مرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.
7. خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق: محمد العربي الزبيري، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2006م.
8. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح وتق: الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
9. الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2007م.

10. الزهري أبي بكر: الجغرافية، دط، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الجيزة، دت.
11. الزركشي محمد بن عبد الله: إعلام المساجد بأحكام المساجد، ط4، تح: أبو الوفا مصطفى المراني، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1996م.
12. ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله: فتوح إفريقية والأندلس، دط، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب البناني، بيروت، 1964م.
13. ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوي: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط2، تح: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1575م.
14. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، ج1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، لبنان، 1980م.
15. كربخال مارمول: إفريقيا، ج2، تر: عمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط،1988م.
16. بن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بالد الجزائر المحمية، ط2، تح وتق: محمد ابن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1981م.
17. المراكشي عبد الواحد: وثائق المرابطين والموحدين، ط1، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،1997م.
18. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 1978م.
19. ابن مريم الشريف: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د.ط، مر: محمد ابن أبي شنب، طبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

20. الوزان الفاسي حسن بن محمد: وصف إفريقيا، ط2، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1883م.

21. اليعقوبي: البلدان، د.ط، وضع حواشيه محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.

**ثانيا: المراجع**

**أ-باللغة العربية:**

1. بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.

2. بوعزيز يحي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2002م.

3. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطية، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009م.

4. بوعزيز يحي: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

5. بالعربي: خالد الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-دراسة تاريخية وحضارية 633هـ،661هـ، ط1، دار الألمعية، الجزائر،2011م.

6. آلتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، تر: محمود، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

7. الجيلالي عبد الرحمن محمد: تاريخ الجزائر العام، دط، ج2، مكتبة الحياة، بيروت،1965م.

8. الجزائري عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، دط، ج1، المطبعة التجارية، بيروت،1883م.

9. حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال السياسية -دط، ج1، منشورات الحضارة، 2009م.
10. حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال الاقتصادية والثقافية-دط، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م.
11. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ-من عصر ماقبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، دط، ج1، دار الرشاد، 2000م.
12. حاجيات عبد الحميد: أبو موسى الزياني -حياته وآثاره-دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974م.
13. بن حموش مصطفى: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني "من خلال مخطوط ديفوليكس والوثائق العثمانية"، د.ط، تر، وتع: مصطفى بن حموش، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
14. الدراجي بوزيان: أدباء وشعراء تلمسان، دط، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2002م.
15. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
16. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، ج1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
17. السيد محمود: تاريخ دول المغرب العربي-ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا-دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.
18. الصلابي علي محمد: دولة الموحدين، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007م.
19. الطمار محمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور-دورها في سياسة وحضارة الجزائر-تق: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،2007م.

20. العيدروس محمد حسن: تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الكتاب الجامعي، الكويت، 1998م.
21. فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني –دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية –دط، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،2002م.
22. قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1800، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م.
23. المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،2001م.
24. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، ج2، تق وتص: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.
25. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر القديم والحديث، د.ط، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت، 1964م.

**ب–باللغة الأجنبية:**

1. *Saida Benchikh-Boulanouar: L'Algerie , par ses Archives،casabah editions, Alger, 2015.*

**ثالثا: الدوريات**

1. بن الأعرج عبد الرحمن: الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني (دورية كان التاريخية)، السنة العاشرة، العدد 36، جامعة تلمسان، 2017م.
2. بلبراوات بن عتو: أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، الحوار المتوسطي، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس، 2019م.
3. بلايلي أسماء: التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10هـ–16م– دراسة في الدوافع والنتائج–، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2، جامعة غرداية، 2017م.

4. سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب من القرن العاشر إلى الرابع عشرهـ، من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والثلاثون، جامعة الكويت، 2010م.
5. طوهارة فؤاد: المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني (7هـ-9هـ/13-15م)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 16حزيران، جامعة 8ماي 1945م، قالمة-الجزائر، 2014م.
6. بن عميرة لطيفة بشاري: (علاقة بني عبد الواد -بنو زيان -تلمسان -ببني مرين -المغرب)، مجلة أفكار وآفاق، العدد 3، الجزائر 2، 2012م.
7. Rellue Africaine : N°27, Mai 1864.

**رابعا: الرسائل الجامعية:**

1. آمال هاشمي: دور الإدارة الفرنسية في تلمسان وضواحيها مابين 1842-1897، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، 2018-2019م.
2. أسماء لبلق: التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران -2-، 2014-2015م.
3. بلحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيها لأولياء الله من مفاخر المناقب "الجزء الأول" دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2017-2018م.

4. عبد الرحمان بن زعيط، بسقلال رمضان: تلمسان...الكنز الأثري السياحي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص اتصال سياحي، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،2017-2018م.
5. شويحات موسى: الطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية للجزائر العثمانية (1519-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018-2019م.
6. بن صحراوي كمال: أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013م.
7. شقدان بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني(633هـ-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس -فلسطين،2002م.
8. الواليش فتيحة: الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، تخصص التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994م.

**خامسا: القواميس والموسوعات**

1. الحموي ياقوت: معجم البلدان، دط، مج2، دار صادر، بيروت،1977م.
2. حسن حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م.
3. الحسني عبد المؤمن القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م.

4. الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مج3، مكتبة مجبولي، القاهرة، 1994م.
5. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي: إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، تق: راغب السرحاني، مراجعة وإشراف: قاسم عبد الله ومحمد عبد الله، مؤسسة اقرأ، القاهرة، دت.
6. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، 1980م.

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

**المحتوى** **الصفحة**

**شكر وعرفان**

**إهداء**

**قائمة المختصرات**

**مقدمة** ..... 02

# الفصل التمهيدي

## لمحة جغرافية وطبيعية وتاريخية عن بايلك الغرب وتلمسان

**المبحث الأول: لمحة جغرافية وطبيعية** ..... 07

أولا: بايلك الغرب ..... 07

أ-المنطقة الشمالية ..... 07

ب-الهضاب العليا ..... 08

ج-المنطقة الجنوبية ..... 08

ثانيا: تلمسان ..... 08

أ-السهول والمسطحات المائية ..... 09

ب-المناخ ..... 09

ج-المرتفعات والسهول ..... 09

1-سلسلة مرتفعات تافنة ..... 10

أ-سلسلة مرتفعات تافنة الواقعة غرب وادي تافنة ..... 10

ب-المرتفعات الواقعة شرقي وادي تافنة ..... 10

**2**- سلسلة مرتفعات تلمسان ..... 10

3-سهل تلمسان ..... 10

**المبحث الثاني: لمحة تاريخية** ..... 10
أولا: بايلك الغرب ..... 11
ثانيا: تلمسان ..... 11
أ-تلمسان ما قبل التاريخ ..... 11
ب-تأسيس المدينة ..... 12
ج-دولة بني عبد الواد الزيانية ..... 13
**المبحث الثالث: أصل تسمية تلمسان** ..... 14

# الفصل الأول

## أوضاع تلمسان خلال العهد الزياني

**المبحث الأول: الأوضاع السياسية** ..... 18
أ-الزيانيون ..... 18
ب-تأسيس الدولة العبد الوادية (الزيانية) ..... 18
ج-الوضع السياسي لتلمسان خلال العهد الزياني ..... 20
**المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية** ..... 23
أ-فئات المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني ..... 23
ب-اللغة ..... 27
ج-عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني ..... 27
**المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والاقتصادية** ..... 29
أولا: الأوضاع الثقافية ..... 29
أ-عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان في عهد بني زيان ..... 29
ب-عينة من العلماء التلمسانيين خلال العهد الزياني ..... 30
ج-دور علماء تلمسان الخارجي ..... 31
ثانيا: الأوضاع الاقتصادية ..... 32

# الفصل الثاني

## الواقع الاجتماعي لتلمسان خلال العهد العثماني

**المبحث الأول: إلحاق تلمسان بالحكم العثماني** ..... 36

**المبحث الثاني: الفئة السكانية لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني** ..... 40

**المبحث الثالث: نماذج من عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني** ..... 42

1-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ..... 42

# الفصل الثالث

## الواقع الحضاري الثقافي لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني

**المبحث الأول: المساجد والزوايا** ..... 46

أ-المسجد لغة ..... 46

ب-الزوايا ..... 49

**المبحث الثاني: المدارس والكتاتيب والبيوتات العلمية بتلمسان خلال العهد العثماني** ..... 50

أ-المدارس ..... 50

ب-الكتاتيب ..... 52

ج-البيوتات العلمية ..... 54

1-بيت المقري ..... 54

2-بيت العقباني ..... 55

**المبحث الثالث: العمران بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني** ..... 58

1-الحي المركزي ..... 58

2-النشاطات التجارية والحرفية ..... 58

3-الحي السكني ..... 59

**خاتمة** ..... 62

**الملاحق** ..... 66

**قائمة المصادر والمراجع** ..... 70

**فهرس المحتويات** ..... 79

**الملخص**

**الملخص:**

تعتبر مدينة تلمسان من أهم المدن الرئيسية في بايلك الغرب الجزائري كانت حاضرة للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، منذ عهد السلمانيين إلى غاية العهد الزياني، وقد احتوت المدينة على العديد من الشخصيات العلمية البارزة من المشرق والمغرب والأندلس.

ومع بداية العصر الحديث ومع التواجد الإسباني في الغرب الجزائري باحتلال المرسى الكبير 1505م ووهران 1509م، خف إشعاعها الفكري نظرا لمجموعة من العوامل أهمها: هجرة علمائها إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى وتدهور مؤسساتها التعليمية ورغم هذه الأوضاع إلا أن تلمسان بقيت من مراكز العلم في الغرب الجزائري طيلة القرون الثلاثة التي حكم فيها العثمانيون البلاد

وبرز فيها العديد من العلماء والفقهاء ورجال الدين واحتوت على العديد من الزوايا والمساجد والكتاتيب وغيرها التي كان لها دور هام في الخدمات الثقافية وحتى الاجتماعية حيث حافظ كل منها على أداء مهامها.

***Résumé***

*La ville de Tlemcen est considérée comme l'une des villes majeures les plus importantes de l'ouest algérien Bailek. C'était une métropole du Maghreb central au Moyen Âge, depuis le règne des Salmaniens jusqu'à l'ère Zayani. La ville comptait de nombreuses personnalités scientifiques de premier plan. d'Orient, du Maghreb et d'Andalousie.*

*Avec le début de l'ère moderne et avec la présence espagnole dans l'ouest algérien, avec l'occupation de Marsa El Kebir 1505 AD et Oran 1509 AD, son rayonnement intellectuel a diminué en raison d'un certain nombre de facteurs dont les plus importants sont : la migration de ses savants vers la ville de Fès dans l'Extrême-Maghreb et la dégradation de ses établissements d'enseignement.Malgré ces conditions, Tlemcen est resté l'un des centres de la science de l'Ouest algérien tout au long des trois siècles de domination ottomane sur le pays*

*De nombreux érudits, juristes et ecclésiastiques y ont émergé, et il contenait de nombreuses zawiyas, mosquées, écoles et autres qui avaient un rôle important dans les services culturels et même sociaux, car chacun d'eux maintenait l'accomplissement de ses tâches.*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

# وثيقة ايداع مذكرة ماستر

**الموضوع:** الحياة الحضارية في بلاد القرب خلال العهد العثماني مدينة "تلمسان" أنموذجا

**إعداد الطلبة:**

1- أودينة سامية ..... رقم التسجيل: 161635086631

2- شايحة بشرى ..... رقم التسجيل: 143509554 6

**القسم:** التاريخ **الشعبة:** ..... **التخصص:** تاريخ الجزائر الحديث

**إشراف:** أ.د سليم المسعود **الرتبة:** استاذ دكتور

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

**موافقة وإمضاء المشرف(ة):**

**رئيس فريق الاختصاص**

**رئيس القسم**

د/بوقزولة عبد المالك

Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ الموقع الإلكتروني:
Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ الفايسبوك:
Tél / Fax : +213 35 35 3044 هاتف/ فاكس:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

# تصريح شرفي

## خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): أودينة سامية

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 200364533

والصادرة بتاريخ: 2016-04-25

عن دائرة: المسيلة

المسجل (ة) بكلية: العلوم الانسانية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:
مذكرة ماستر الحياة الحضارية في بلاد المغرب خلال العهد العثماني مدينة تلمسان أنموذجا.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2021/06/07

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

# تصريح شرفي

## خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): شيابحة بشرى

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 686895

والصادرة بتاريخ: 2013/07/08

عن دائرة: أولاد دراج

المسجل (ة) بكلية: العلوم الانسانية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:
مذكرة ماستر الحياة الحضارية في بلاد المغرب
خلال العهد العثماني خنشلة نموذجا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2021/06/07

إمضاء المعني